قضايا تربوية في فكر الأمام الصادق (ع) - دراسة تحليلية تاريخية

أ.د. صالح مهدي عباس

مركز احياء التراث/ جامعة بغداد

أ.م.د. زهير عبد المجيد الخواجه

كلية الطوسي الجامعة/ النجف الأشرف

المقدمة:

لقد خلق الله الإنسان وزوّده بعنصري العقل والإرادة ، فبالعقل يبصر ويكتشف الحق ويميّزه عن الباطل ، وبالإرادة يختار ما يراه صالحاً له ومحققاً لأغراضه وأهدافه وقد جعل الله العقل المميّز حجةً له على خلقه ، وأعان به أفاض على العقول من معين هدايته، فإنّه هو الذي علّم الإنسان ما لم يعلم، وأرشده إلى طريق كماله اللائق به، وعرفه الغاية التي خلقه من أجلها، وجاء به إلى هذه الحياة الدنيا من أجل تحقيقها وأوضح القرآن الحكيم بنصوصه الصريحة معالم الهداية الربّانية وآفاقها ومستلزماتها وطرقها، كما بيّن لنا عللها وأسبابها من جهة ، وأسفر عن ثمارها ونتائجها من جهة أخرى.

قال تعالى: (وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ) (سبأ: ٦) فالله تعالى هو مصدر الهداية ، وهدايته هي الهداية الحقيقية ، وهو الذي يأخذ بيد الإنسان إلى الصراط المستقيم وإلى الحق القويم وهذه الحقائق يؤيّد بها العلم ويدركها العلماء ويخضعون لها بملء وجودهم ولقد أودع الله في فطرة الإنسان النزوع إلى الكمال والجمال ثمّ مَنَّ عليه بإرشاده إلى الكمال اللائق به ، وأسبغ عليه نعمة التعرف على طريق الكمال ، ومن هنا قال تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) (الذاريات: ٥٦). وحيث لا تتحقّق العبادة الحقيقية من دون المعرفة، كانت المعرفة والعبادة طريقاً منحصرّاً وهدفاً وغايةً موصلةً إلى قمة الكمال وبعد أن زوّد الله الإنسان بطاقتي الغضب والشهوة ليحقّق له وقود الحركة نحو الكمال، لم يؤمّن عليه من سيطرة الغضب والشهوة، والهوى الناشئ منهما، والملازم لهما فمن

هنا احتاج الإنسان . بالإضافة إلى عقله وسائر أدوات المعرفة إلى ما يضمن له سلامة البصيرة والرؤية، كي تتمّ عليه الحجة، وتكمل نعمة الهداية ، وتتوفّر لديه كلّ الأسباب التي تجعله يختار طريق الخير والسعادة، أو طريق الشرّ والشقاء بملء إرادته ومن هنا اقتضت سنّة الهداية الربّانية أن يُسند عقل الإنسان عن طريق الوحي الإلهي، ومن خلال الهداة الذين اختارهم الله لتولّي مسؤولية هداية العباد ؛ وذلك عن طريق توفير تفاصيل المعرفة وإعطاء الإرشادات اللازمة لكلّ مرافق الحياة وقد حمل الأنبياء وأوصياؤهم مشعل الهداية الربّانية منذ فجر التاريخ وعلى مدى العصور والقرون ، ولم يترك الله عباده مهمّلين دون حجة هادية وعلم مرشد ونور مُضيء ، كما أفصحت نصوص الوحي . مؤيّدَةً لدلائل العقل . بأنّ الأرض لا تخلو من حجة لله على خلقه ؛ لئلا يكون للناس على الله حجة ، فالحجة قبل الخلق ومع الخلق وبعد الخلق ، ولو لم يبق في الأرض إلاّ اثنان كان أحدهما الحجة ، وصرّح القرآن . بشكل لا يقبل الريب . قائلاً : (إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ لِّقَوْمٍ هَادٍ) (الرعد: ٧) ويتولّى أنبياء الله ورسله وأوصياؤهم الهداة المهيّيون مهمّة الهداية بجميع مراتبها، والتي تتلخّص في صيانة الرسالة من الزيغ والتحريف والضياح في الفترة المقرّرة لها، وهذه المهمّة أيضاً تتطلّب الكفاءة العلمية والنفسية ، والتي تسمّى بالعصمة والعمل لتحقيق أهداف الرسالة المعنوية وتنشيت القيم الأخلاقية في نفوس الأفراد وأركان المجتمعات البشرية ؛ وذلك بتنفيذ الأطروحة الربّانية ، وتطبيق قوانين الدين الحنيف على المجتمع البشري من خلال تأسيس كيان سياسيّ يتولّى إدارة شؤون الأمة على أساس الرسالة الربّانية للبشرية ، ويتطلّب التنفيذ قيادةً حكيمةً ، وشجاعةً فائقةً ، وثباتاً كبيراً ، ومعرفةً تامةً بالنفوس وبطبقات المجتمع والتيارات الفكرية والسياسية والاجتماعية وقوانين الإدارة والتربية وسنن الحياة ، ونلخصها في الكفاءة العلمية لإدارة دولة عالمية دينية ، هذا فضلاً عن العصمة التي تعبّر عن الكفاءة النفسية التي تصون القيادة الدينية من كلّ سلوك منحرف أو عمل خاطئ بإمكانه أن يؤثّر تأثيراً سلبياً على مسيرة القيادة وانقياد الأمة لها بحيث يتنافى مع أهداف الرسالة وأغراضها وقد سلك الأنبياء السابقون وأوصياؤهم المصطفون طريق الهداية الدامي ، واقتحموا سبيل التربية الشاق ، وتحملوا في سبيل أداء المهام

الرسالية كلّ صعب، وقدّموا في سبيل تحقيق أهداف الرسالات الإلهية كلّ ما يمكن أن يقدّمه الإنسان المتفاني في مبدئه وعقيدته ، ولم يتراجعوا لحظة ، ولم يتلکأوا طرفة عين وقد توجّ الله جهودهم وجهادهم المستمرّ على مدى العصور برسالة خاتم الأنبياء محمد بن عبد الله (ص) وحمله الأمانة الكبرى ومسؤولية الهداية بجميع مراتبها ، طالباً منه تحقيق أهدافها وقد خطا الرسول الأعظم (ص) في هذا الطريق الوعر خطوات مدهشة، وحقق في أقصر فترة زمنية أكبر نتائج ممكن في حساب الدعوات التغييرية والرسالات الثورية، وكانت حصيلة جهاده وكدحه ليل نهار خلال عقدين من الزمن في تقديم رسالة كاملة للبشرية تحتوي على عناصر الديمومة والبقاء وتزويدها بعناصر تصونها من الزيغ والانحراف وتكوين أمة مسلمة تؤمن بالإسلام مبدأً، وبالرسول قائداً، وبالشرعية قانوناً للحياة كذلك تأسيس دولة إسلامية وكيان سياسيّ يحمل لواء الإسلام ويطبّق شريعة السماء من خلال تقديم الوجه المشرق للقيادة الربّانية الحكيمة المتمثلة في قيادته (ص) ولتحقيق أهداف الرسالة بشكل كامل كان من الضروري :

- أ . أن تستمرّ القيادة الكفوءة في تطبيق الرسالة وصيانتها من أيدي العابثين الذين يتربصون بها الدوائر .
 - ب . أن تستمرّ عملية التربية الصحيحة باستمرار الأجيال، على يد مربّ كفوء علمياً ونفسياً حيث يكون قدوة حسنة في الخلق والسلوك كالرسول (ص) ، يستوعب الرسالة ويجسدها في كل حركاته وسكناته.
- ومن هنا كان التخطيط الإلهيّ يحتمّ على الرسول (ص) إعداد الصفوة من أهل بيته، والتصريح بأسمائهم وأدوارهم ؛ لتسلّم مقاليد الحركة النبويّة العظيمة والهداية الربّانية الخالدة بأمر من الله سبحانه ، وصيانة للرسالة الإلهية التي كتب الله لها الخلود من تحريف الجاهلين وكيد الخائنين، وتربية للأجيال على قيم ومفاهيم الشريعة المباركة التي تولّوا تبين معالمها وكشف أسرارها وذخائرها على مرّ العصور ، وحتى يرث الله الأرض ومن عليها وتجلّى هذا التخطيط الربّاني في ما نصّ عليه الرسول (ص) بقوله: (إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا ، كتاب الله وعترتي ، وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض) وكان أئمة أهل البيت (ع) خير من عزّفهم النبي الأكرم (ص) بأمر من الله تعالى لقيادة الأمة من بعده إن سيرة

الأئمة الاثني عشر من أهل البيت (ع) تمثل المسيرة الواقعية للإسلام بعد عصر الرسول (ص)، ودراسة حياتهم بشكل مستوعب تكشف لنا عن صورة مستوعبة لحركة الإسلام الأصيل الذي أخذ يشق طريقه إلى أعماق الأمة بعد أن أخذت طاقتها الحرارية تتضاءل بعد وفاة الرسول (ص)، فأخذ الأئمة المعصومون (ع) يعملون على توعية الأمة وتحريك طاقتها باتجاه إيجاد وتصعيد الوعي الرسالي للشيعة ولحركة الرسول (ص) وثورته المباركة، غير خارجين عن مسار السنن الكونية التي تتحكم في سلوك القيادة والأمة جمعاء، وتبلورت حياة الأئمة الراشدين في استمرارهم على نهج الرسول العظيم وافتتاح الأمة عليهم، والتفاعل معهم كأعلام للهداية ومصابيح لإنارة الدرب للسالكين المؤمنين بقيادتهم؛ فكانوا هم الأدلاء على الله وعلى مرضاته، والمستقرين في أمر الله، والتأمين في محبته، والذائين في الشوق إليه، والسابقين إلى تسلق قمم الكمال الإنساني المنشود وقد حفلت حياتهم بأنواع الجهاد والصبر على طاعة الله وتحمل جفاء أهل الجفاء حتى ضربوا أعلى أمثلة الصمود لتنفيذ أحكام الله تعالى، ثم اختاروا الشهادة مع العز على الحياة مع الذل، حتى فازوا بقاء الله سبحانه بعد كفاح عظيم وجهاد كبير ولا يستطيع المؤرخون والكتّاب أن يلمّوا بجميع زوايا حياتهم العطرة ويدّعوا دراستها بشكل كامل، ومن هنا فإنّ محاولتنا هذه إنّما هي إعطاء قبسات من حياتهم، ولقطات من سيرتهم وسلوكهم ومواقفهم التي دونها المؤرخون واستطعنّا اكتشافها من خلال مصادر الدراسة والتحقيق، عسى الله أن ينفع بها إنّه وليّ التوفيق، ان موضوع البحث الذي تم تسميته (قضايا تربوية في فكر الإمام الصادق "ع") كدراسة تحليلية وتاريخية له أهمية كبيرة في معرفة كن الإمام في تلك السطور المتواضعة كما ان دراسة البحث احتوت على مقدمة بديباجة راجية ان تليق بمقام مؤسس المذهب الجعفري سلام الله عليه وتكلمت بعدها بتمهيد احتوى على نشأة الإمام ونسبه وانتمائه المبارك مع مبجلين، المبحث الاول تكلمت فيه عن منهجه الفكري والتربوي اما المبحث الثاني فقد تكلمت عن المؤثرات التربوية في نهاية العصر الاموي وبداية العصر العباسي وما جرى له ابان حكم المنصور الدوانيقي حتى

استشهاده (ع) حيث انتهيت بأهم ما توصلت اليه عبر خاتمة لموضوع البحث مع قائمة بأهم المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها كما لا اخفي ان المصادر حول السيرة العطرة لأهل البيت (ع).

المنهج لغة واصطلاحاً:

المنهج : لغةً يعني الطريق الواضح وورد في القرآن الكريم في قوله تعالى (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً) المائدة الآية ٤٨ ، ويقابل المنهج في اللغة الانكليزية كلمة Curriculum وتعني ميدان السباق ويمكن تعريف المنهج بأنه :

(الطريق الذي يسلكه المعلم والمتعلم للوصول إلى الأهداف المنشودة)، ولكن في ضوء الاتجاهات التربوية الحديثة يعرف :-

مجموع الخبرات التربوية المقصودة والمخططة من قبل المدرسة لإحداث النمو الشامل للطلبة بجميع النواحي .

المفهوم القديم للمنهج :

وهذا المفهوم يستمد مقوماته من الفكر القديم للتربية الذي يحدد أهدافها بالتركيز على الجانب العقلي للمتعلم أي انه يهتم فقط بالمحتوى بما فيه من حقائق ومفاهيم ومبادئ وحفظ المادة الدراسية ويستند إلى الفكر الذي يعتبر (أن العقل يسمو على حواس الإنسان) ولذا أصبح دور الدراسة محصور في تزويد الطلبة بالمعلومات وحشو أذهانهم بالمادة الدراسية وقد ساد هذا المفهوم طويلاً ولا يزال حتى الآن له أنصار ومؤيدون .

المفهوم الحديث للمنهج :

جاء المفهوم الحديث للمنهج كرد فعل للمفهوم القديم والتقليدي للمنهج ، وبدأ بدعوات من المربين وفلاسفة التربية إلى أن يتضمن المنهج ما وراء قاعة الدرس ليشمل الاهتمام بالجوانب المهارية والوجدانية للطلبة إضافة إلى الجوانب المعرفية .

لذا فان احد التربويين يعرف المنهج الحديث بأنه :

(كل الخبرات التي يكتسبها الطالب تحت إشراف المدرسة وتوجيهها سواء كان داخل الصف أو خارجه) وفي ضوء هذا المفهوم يترتب ما يأتي :

لم يعد الاهتمام متحدداً بالناحية المعرفية بل يراعي المفهوم الحديث للمنهج الجوانب المهارية والثقافية والاجتماعية للطالب .

لم تعد المادة العلمية هدفاً بحد ذاتها وإنما أصبحت وسيلة تساعد في تحقيق عملية نمو الطالب . المدرسة أصبحت هنا جزء من المجتمع فهي تتسق جهودها مع البيت والمؤسسات الأخرى لغرض بناء الطالب بناءً متكاملًا .

تحرر المدرس من المنهج الضيق الذي يحدده في مجال واحد وأصبح دوره توجيهي وإرشادي ومساعد للطالب في تنمية قدراته المختلفة .

الحياة المدرسية في ظل هذا المنهج حياة مشوقة ومحبوبة للطالب وتساعد في تكوين شخصيته وتنمية معارفه وقدراته .

مراحل حياة الإمام الصادق (ع):

ولد الإمام جعفر بن محمد الصادق (ع) في مرحلة ازدهار الدولة الأموية حين ابتعد الخلفاء كثيراً عن طريق الحق وترسخت صيغة الملك المتوارث .

عاصر جدّه اثنتا عشرة سنة في المدينة وعاش مع أبيه بعد جدّه تسع عشرة سنة. نهل خلالها جميع العلوم والمعارف من أبيه (ع) وفاق الجميع بسعة إدراكه وشدة ذكائه .

وشارك أباه محنة الصبر على تولّي الظالمين والتعرّض للبلاء كما ساهم مع أبيه في نشر العلوم الإسلامية من خلال حلقات الدرس التي أسسها لكي لا تضيع الرسالة وتدرس معالم الدين .

وتمكّن من أن يواصل بعد أبيه (ع) خلال مدّة إمامته التي استمرّت أربعاً وثلاثين سنة تربية أجيال عديدة من العلماء والفقهاء الصالحين ممّن ينهج نهج أهل البيت (ع).

وكما عاصر الإمام الصادق (ع) مرحلة انحطاط الدولة الأموية وأفلوها عاصر كذلك ظهور الدولة العباسية التي تعجّلت في ممارسة الظلم بالنسبة لأهل البيت (ع) والتعدي عليهم .
وتمكّن الإمام الصادق (ع) في هذه الفترة من المعتزك السياسي المرير أن يحافظ على كيان المذهب الشيعي واستمرار سلامة الجماعة الصالحة وتنميتها، تلك الجماعة التي عمل على بنائها وتوسعتها آباؤه الطاهرون .

انطباعات عن شخصية الإمام الصادق (ع):

أشاد الإمام الباقر (ع) أمام أعلام شيعته بفضل ولده الصادق (ع) قائلاً: هذا خير البرية (٤) .
وأفصح عمّه زيد بن علي عن عظيم شأنه فقال: في كل زمان رجل منّا أهل البيت يحتجّ الله به على خلقه ؛ وحجّة زماننا ابن أخي جعفر لا يضلّ من تبعه ولا يهتدي من خالفه (٥) .
وقال مالك بن أنس: ما رأيت عين ولا سمعت أذن ولا خطر على قلب بشر أفضل من جعفر بن محمّد الصادق علماً وعبادة وورعاً (٦) .
وقال المنصور الدوانيقي مؤبناً الإمام الصادق (ع): إنّ جعفر بن محمّد كان ممّن قال الله فيه : (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا) وكان ممّن اصطفى الله وكان من السابقين بالخيرات (٧) .

مظاهر من شخصية الامام الصادق (ع):

سعة علمه:

لقد شقّق الإمام الصادق (ع) العلوم بفكره الثاقب وبصره الدقيق؛ حتّى ملأ الدنيا بعلمه، وهو القائل: (سلوني قبل أن تفقدوني فإنّه لا يحدثكم أحد بعدي بمثل حديثي) (٨) ولم يقل أحد هذه الكلمة سوى جدّه الإمام أمير المؤمنين (ع).

وأدلى (ع) بحديث أعرب فيه عن سعة علومه فقال: (والله إنّني لأعلم كتاب الله من أوّله إلى آخره كأنّه في كفّي، فيه خبر السماء وخبر الأرض، وخبر ما كان، وخبر ما هو كائن، قال الله عزّ وجلّ: (فيه تبيان كل شيء) (٩) .

وقد كان من مظاهر سعة علمه أنّه قد ارتوى من بحر علومه أربعة آلاف طالب، وقد أشاعوا العلم والثقافة في جميع الحواضر الإسلامية ونشروا معالم الدين وأحكام الشريعة (١٠) .
سمو أخلاقه :

كان الإمام الصادق (ع) على جانب كبير من سمو الأخلاق، فقد ملك القلوب، وجذب العواطف بهذه الظاهرة الكريمة التي كانت امتداداً لأخلاق جدّه رسول الله (ص) الذي سما على سائر النبيين بمعالي أخلاقه .

وكان من مكارم أخلاق الإمام وسمو ذاته أنّه كان يحسن إلى كل من أساء إليه، وقد روي أنّ رجلاً من الحجاج توهّم أنّ هميانه قد ضاع منه، فخرج يفتش عنه فرأى الإمام الصادق (ع) يصلّي في الجامع النبوي فتعلّق به ، ولم يعرفه ، وقال له : أنت أخذت همياني؟

فقال له الإمام بعطف ورفق: ما كان فيه؟ قال: ألف دينار، فأعطاه الإمام ألف دينار، ومضى الرجل إلى مكانه فوجد هميانه فعاد إلى الإمام معتذراً منه، ومعه المال فأبى الإمام قبوله وقال له : شيء خرج من

يدي فلا يعود إلي، فبهر الرجل وسأل عنه ، فقيل له : هذا جعفر الصادق، وراح الرجل يقول بإعجاب: لا جرم هذا فعال أمثاله .

إنّ شرف الإمام (ع) الذي لا حدود له هو الذي دفعه إلى تصديق الرجل ودفع المال له .
وقال (ع): إنّنا أهل بيت مروءتنا العفو عمّن ظلمنا.

وكان يفيض بأخلاقه الندية على حضّار مجلسه حتّى قال رجل من العامة: والله ما رأيت مجلساً أنبل من مجالسته (١٢) .

المبحث الأول: قضايا تربوية في فكر الامام الصادق (ع):

الاعداد التربوي العقائدي عند الامام الصادق (ع) ومتطلبات عصره ودوره في بناء الجماعة الصالحة
١. عصر الإمام الصادق (ع) (١١٤ . ١٣٢ هـ):

تصدّى الإمام جعفر بن محمّد الصادق (ع) لموقع الإمامة بعد أبيه محمد الباقر (ع) سنة (١١٤ هـ) ؛ فكان مرجعاً في الدين والسياسة والفكر والثقافة للمسلمين عامة، ولأتباع أهل البيت (ع) بشكل خاص .
وهذا الأمر نجده واضحاً في جوابه لأبيه عندما أوصاه بصاحبته وخاصّته. قال الإمام الصادق (ع): لمّا حضرت أبي الوفاة قال: يا جعفر أوصيك بأصحابي خيراً. قلت: (جعلت فداك والله لأدعّتهم والرجل منهم يكون في مصر فلا يسأل أحداً) (١٩) .

بهذا المستوى العالي من الإقدام الشجاع أعرب الإمام (ع) عن نواياه وبرنامجه الذي أعدّه لمستقبل الشيعة في ظل إمامته والخطّة التي تؤهّلهم لأن يكونوا ذلك النموذج السامي في المجتمع الإسلامي حيث يتحرّك كلّ منهم برؤى واضحة المسار، بلا فوضى في الاختيار ولا ضلالة في الفكر والسلوك ؛ لأنّ هذا الإعداد العلمي والثقافي يجعلهم أغنياء عن الأخذ من الغير، ويرتقي بهم إلى مستوى استغنائهم عن سؤال أحد من المسلمين وغير المسلمين ماداموا قد تمسّكوا بالحبل المتصل بالله ، وهو حبل أهل بيت الرسالة الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً .

وكان الإمام الباقر (ع) قبل هذا الوقت قد هباً الشيعة وأعدّهم لأخذ معالم الشريعة من الإمام الصادق (ع) عندما قال: (إذا افتقدتموني فاقتدوا بهذا فإنه الإمام والخليفة بعدي وأشار إلى ابنه جعفر) (٢٠). وباشّر الإمام الصادق (ع) مسؤولياته بدءاً بالتعريف بإمامته وإثباتها بشكل علمي وعملي. واستمرّ الإمام بتعزيز خطواته فتحرّك بأسلوب آخر بغية تعميق العلاقة بينه وبين الوجود الشيعي الذي أعدّ تفاصيله ورسم معالمه الإمام الباقر (ع).

ومن هنا نجد الإمام الصادق (ع) يشدّ همهم ويثير في نفوسهم الحماس ويخاطب مواطن الخير والقوة فيها، مشيراً إلى أنّ الكثرة من الناس قد خذلتهم وجهلت حقهم، وإنّ المسلم الذي تحمّل ساعة الشدة وبقي ملازماً لهم حتّى صقلته التجارب ولم يستجب للإغراءات لهو جدير بحمل الأمانة ومواصلة الطريق معهم. وبعد هذا العرض الموجز للمرحلة التي انتهت منها الإمام الباقر (ع) وبدأها الإمام الصادق (ع)، لا بد أن نقف على ملامح عصر الإمام الصادق (ع) في شتّى النواحي والمجالات.

أولاً: الوضع السياسي وأثره على القيم التربوية:

لم يكن الوضع السياسي الذي يريد أن يتحرّك في وسطه الإمام الصادق (ع) قد تبدّل؛ فهشام بن عبد الملك الذي أقدم على اغتيال الإمام الباقر (ع) لازال هو الحاكم، وسياسته مع الإمام الباقر (ع) وشيعته هي السياسة نفسها، وهي سياسة قائمة على أساس الحقد الجاهلي وتتلخّص في التشريد والاضطهاد. إنّ الثائر زيد بن علي (ع) يكشف لنا عمق المأساة التي كانت تعيشها الأمة آنذاك، حين تعرّض هذا الثائر العظيم في زمن الإمام الباقر (ع) لإذلال وتوهين من قبل هشام باعتباره أحد رجال الشيعة ومن رموزها البارزين .

أخذ زيد يزداد قناعة بضرورة الثورة ضد الأمويين حتّى صمّم على ذلك بلا تردّد، وبدوافع إسلامية خالصة وترسيخاً للمبادئ والقيم التربوية الإسلامية التي اسس لها أئمة أهل البيت (ع).

وحين ذكر جابر بن يزيد الجعفي رأي أخيه الباقر (ع) بثورته وسلامة قراره وذكر له أنّه مقتول لا محالة . قال زيد لجابر :

يا جابر لم يَسْعَنْ أن أسكت، وقد خولف كتاب الله وتحوكم بالجبت والطاغوت، وذلك أنّي شاهدت هشاماً ورجل عنده يسبّ رسول الله. فقلت للسائب: ويلك يا كافر! أما إنّني لو تمكّنت منك لاختطفتُ روحك وعجّلتك إلى النار. فقال لي هشام: مه، جلسنا يا زيد ولم يرعَ حرمةَ الله ولا لرسوله (ص) لما فيه من الانحراف السلوكي.

قال زيد لجابر: فو الله لو لم يكن إلّا أنا ويحيى ابني لخرجت عليه وجاهدته حتّى أفنى (٢١) .
لقد فجّر زيد ثورته وحقق نصراً حاسماً ضد الأمويين بعد أن خاض حرباً طاحنة كادت أن تنتهي لصالح زيد لولا وقوع الفتنة في صفوف أتباعه حيث احتال عليه بعض من كان يهوى هشاماً فدخلوا عليه وقالوا: ما تقول في أبي بكر وعمر؟ فقال زيد: رحم الله أبا بكر وعمر صاحبي رسول الله (ص) ثم قال: أين كنتم قبل اليوم؟ لقد كان الغرض من إلقاء السؤال في ذلك الموقف الحرج وفي ساحة الحرب هو أحد أمرين وفي كليهما نجاح تلك الخدعة وتحقيق تلك المؤامرة، فإما أن يتبرأ زيد من الشيخين فيكون حينئذ أقوى لقتل زيد؛ لأنّه يسيء القول في الشيخين وتلك وسيلة اتّخذها الأمويون ومن بعدهم للقضاء على خصومهم . وإما أن لا يتبرأ ممّن ظلم أهل البيت حقّهم فيكون جوابه على أيّ حال سبباً لإيجاد الخلاف بين أصحابه وبالفعل نجحت المؤامرة وتفرّق أهل الغدر وذوو الأطماع وكانت هذه الحيلة من الوالي يوسف بن عمر أقوى سلاح لجأ إليه، كما أغرى بعض جواسيسه بالأموال ليتعرّف على أصحاب زيد (٢٢) .

وفي أيام الوليد بن يزيد قُتل يحيى بن زيد أيضاً ، وذلك أنّ يحيى خرج من الكوفة بعد مقتل أبيه وتوجّه إلى خراسان ، فسار إلى الري ، ومنها أتى سرخس ، ثم خرج ونزل بلخ على الحريش بن عبد الرحمن الشيباني ولم يزل عنده حتّى هلك هشام وولي الوليد.

وكتب والي الكوفة إلى نصر بن سيار يخبره بأن يحيى بن زيد موجود في منزل الحريش، وهنا طلب نصر من الحريش بأن يسلم إليه يحيى ، فردّ الحريش على والي نصر بن سيار قائلاً : لا علم لي به . ولهذا السبب ضرب الحريش ستمائة سوط . ثم قال الحريش: والله لو أنه تحت قدمي ما رفعتهما . وبقيت أجهزة النظام تراقبه، وجرت بعد ذلك حوادث يطول ذكرها، وأخيراً أرسل نصر جيشاً يُقدّر بعشرة آلاف فارس وكان يحيى في سبعين رجلاً ، وفي المعركة الأخيرة أصيب يحيى بسهم في جبهته فُتِل وقُتل أصحابه . رضوان الله عليهم . عن آخرهم وأخذوا رأس يحيى وسلبوه قميصه . وكان ذلك في سنة (١٢٥ هـ) و صُلب جسده الشريف بالجوزجان، ولم يزل مصلوباً حتّى ظهر أبو مسلم الخراساني فأنزله وصلى عليه ودفنه (٢٣) .

وفي سنة (١٢٦ هـ) قُتل الوليد بن يزيد من قبل الأمويين أنفسهم وتولى الخلافة من بعده يزيد بن الوليد بن عبد الملك . وفي هذه الفترة حدثت فوضى سياسية لم تُشهد من قبل حيث تحرّك كل من كان له أدنى طمع في الرئاسة ؛ لأنّ الأمّة في هذا الظرف كانت مستعدة لأن تستجيب لأيّ لافتة تدّعي العدالة ، وتريد الانتقام من الأمويين ، فكانت تتقبل هذه الدعوات بلا فحص ولا تدقيق ؛ ولهذا ظهرت في هذا الظرف مذاهب سياسية شتى وهذا الواقع السياسي لم يمكن مسكه ولا السيطرة عليه وتكريسه باتجاه واحد من قبل الإمام (ع).

من هنا نجد أنّ موقفه (ع) من هذا الوضع كان موقف المصلح المرشد حيث نراه تارة يحذّر من الاندفاع وراء أهل المذاهب الأخرى، وتارة يدعو للموقف الثوري لكن للذي يعتمد العقيدة الصحيحة إن وجد . فهو إذن يعلم جيداً ما كان يستتر خلف هذه اللافتات من نوايا وأهداف كشعار بني العباس الذي خدعوا به الأمّة، من هنا حذّر الإمام (ع) من الانسياق وراء تلك الدعوات، وأكد ضرورة الالتزام بالقيم والمبادئ المفقودة، وأعطى ملامح الخط السياسي الذي كان ينسجم مع المرحلة، لكن ليس على حساب العمل الجهادي الذي يستهدف الأمويين ، وهذا ما شاهدناه من خلال مواقفه (ع) من ثورة زيد ودعمه لها.

ثانيا : الوضع الفكري:

إنّ الظواهر الفكرية والعقائدية السائدة في عصر الإمام الصادق (ع). مثل: الزندقة، الغلو، والاعتزال، والجبر ، والرأي ، وما نتج عنها من ظهور صيغ جديدة لفهم الرسالة في مجال الفقه وتفسير الحديث والقرآن الكريم . لم تكن وليدة الظرف الذي عاصره الإمام ولم تأتي بالمصادفة ، وإنما يعود وجودها إلى ذلك المنهج الذي خطّه الأمويون ومن سبقهم من الخلفاء الذين اجتنبوا منهج أهل البيت (ع) وسلكوا طريقاً آخر طيلة عشرة عقود أو أكثر ، فعكس للأجيال صورة مزيفة عن الدين لا يتجاوز كونه أداة موجهة بيد الحكّام يحمون به سلطانهم ويوظّفونه حسب ما تتطلبه سياستهم ، ضد المستضعفين حين أصبح المسلم آنذاك لا يرى إلاّ الصورة المقيتة عن الدين ؛ ولهذا كانت الزندقة ردّة فعل لهذا الانحراف بعد تلاعب الحكّام بالدين ، وقد لقيت رواجاً في هذا الوسط الديني المضطرب والملئ بالمفاهيم الخاطئة.

إنّ اضطراب الموازين والقيم العقائدية والتربوية قد أدّى إلى التشكيك حتى في السُنّة النبوية، بل في فهم الكتاب الإلهي العظيم والركون إلى الرأي والاستحسان والتجاوز عن مداليل النصوص المأثورة بلا قانون علمي قويم .

فإذا أردنا أن نحاكم الأفكار المنحرفة ومنها التربوية التي انتشرت في عصر الإمام الصادق (ع) كان علينا أن نعرف الخلفيات التي انتهت بالأمة إلى هذا الاضطراب .

من هنا نتناول مفردات من المنهج الأموي التحريفي ودوره التخريبي

في فهم القرآن والسُنّة وحوادث التاريخ ، مقتصرين على ذكر بعض النماذج في كل مجال .

ثالثا : تحريف مصادر التشريع والتاريخ :

أ . التحريف في مجال تفسير القرآن الكريم

كان التعامل مع النص القرآني وتفسيره يعتمد الرأي أو الروايات الإسرائيلية ، ويوظّف لصالح سياسة الخليفة ، ومن الأمثلة على ذلك :

١ . استخدم المجبّرة النصوص القرآنية لتأييد نظريتهم مثل قوله تعالى: (والله خلقكم وما تعملون) ، زاعمين أنّ القرآن يدلّ على أنّ الله يجبر العباد على أعمالهم ...

٢ . أمّا عقيدة التجسيم التي بُنيت على التعامل مع القرآن على أساس الجمود على ظواهر النصوص ، فلا تتجاوز المعنى الحرفي للفظ حتى أخذت تصرّح بأنّ لله يداً ووجهاً محتجّة بقوله تعالى: (يد الله فوق أيديهم) (الفتح: ١٠) ، وقوله: (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام) الرحمن: ٢٧ وقالوا بالرؤية البصرية لله تعالى استناداً إلى قوله تعالى: (وجوه يؤمّنون ناضرة إلى ربها ناظرة) القيامة: ٢٢.

واعتماد هذه التفسيرات والقصص الإسرائيلية في تفسير الآيات المباركة هو السبب في هذه الصور المشوّهة . فقد جاء في تفسير القرطبي عن كعب الأحبار أنّه قال: لما خلق الله العرش قال العرش: لم يخلق الله أعظم منّي واهترّ تعاضماً فطوّقه الله تعالى بحية لها سبعون ألف جناح ، في كل جناح سبعون ألف ريشة ، في كل ريشة سبعون ألف وجه ، في كل وجه سبعون ألف فم ، في كل فم سبعون ألف لسان يخرج من أفواهها كل يوم من التسبيح عدد قطر المطر ، لا عدد ورق الشجر ، وعدد الحصى والثرى ، وعدد أيام الدنيا وعدد الملائكة أجمعين ، والتوت الحية على العرش ، فالعرش إلى نصف الحية وهي ملتوية عليه فتواضع عند ذلك (في تفسير القرطبي) .

وقال معاوية لكعب أنت تقول: إنّ ذا القرنين كان يربط خيله بالثرثرا؟ فقال له كعب: إن كنت قلت ذلك فإنّ الله قال: (واتيناه من كل شيء سبياً) الكهف ٨٤

٢ . متطلّبات عصر الإمام الصادق (ع):

بعد الوقوف على مظاهر الفساد والانحراف التي عمّت ميادين الحياة في عصر الإمام الصادق (ع) نستطيع أن ندرك عمق المأساة التي كان الإمام (ع) قد واكبها منذ نشأته حتى هذا التاريخ .

وفي هذا الظرف الذي خفّت فيه المراقبة بسبب ضعف الدولة الأموية، ووجد الإمام (ع) أنّ جانباً كبيراً من الإسلام قد أقصي عن واقع الحياة، وأنّ قيم الجاهلية قد عادت تظهر للوجود، وأنّ الصيغ الغريبة عن الدين

أخذت تدخل في فهم القرآن والسنة الشريفة وتسببت في تغيير مضمون الرسالة وجوهرها، لاحظ أن الأمر أخذ يزداد تفاقمًا في أواخر العهد الأموي الذي نمت فيه مدارس فكرية وتيارات سياسية بعيدة عن الإسلام، وكان يرى (ع) أن الأكثرية الساحقة من الأمة قد ركنت إلى الطمع بسبب ما شاهدته من صور الظلم والتعسف الذي قد ارتكب بحق كل من كان يعترض على سياسة الحكام المنحرفين عن الدين . كل هذه الأمور قد لاحظها الإمام (ع) بدقة وبدأ يعالجها بكل أناة. لنقرأ معاً حوار سدير الصيرفي مع الإمام (ع): قال سدير الصيرفي : دخلت على أبي عبد الله (ع) فقلت له : والله ما يسعك القعود. فقال: ولم يا سدير؟ قلت: لكثرة مواليك وشيعتك وأنصارك، والله لو كان لأمر المؤمنين (ع) ما لك من الشيعة والأنصار والموالي ما طمع فيه تيم ولا عدي.

فقال: يا سدير وكم عسى أن يكونوا؟ قلت: مائة ألف. قال: مائة ألف! قلت: نعم، ومائتي ألف؟ فقال: ومائتي ألف؟ قلت: نعم، ونصف الدنيا. قال: فسكت عني ثم قال: يخف عليك أن تبلغ معنا إلى ينبع (٣٠)؟ قلت: نعم. فأمر بحمار وبغل أن يسرجا، فبادرت، فركبت الحمار فقال: يا سدير، أترى، انزل بنا نصلي، ثم قال: هذه أرض سبخة لا تجوز الصلاة فيها فسرنا حتى صرنا إلى أرض حمراء، ونظر إلى غلام يرعى جداء (٣١) .

فقال والله يا سدير لو كان لي شيعة بعدد هذه الجداء ما وسعني القعود. ونزلنا وصلينا فلما فرغنا من الصلاة عطفت على الجداء، فعدتها فإذا هي سبعة عشر! (٣٢) .

فالإمام (ع) إزاء هذا الواقع المملوء بالفساد والضياع قد وجد أن الأمر أحوج ما يكون إلى إيجاد تيار إسلامي أصيل يحمل قيم الرسالة التي جاء بها الرسول (ص)، ولابد أيضاً أن يتم عزل الأمة عن الحكومات الظالمة لئلا تكون مرتعاً لمظالمها ، فعن طريق غرس القيم الإسلامية وإيجاد تيار فاعل يساهم في اجتثاث المظالم أو تقلييلها يمكن التحرك لإصلاح الواقع الفاسد حيث إنه قد يرغم الولاة على العدل استجابة لإرادة قطاع كبير من الأمة حينما يرفض هذا القطاع الكبير الاستبداد ويدعو إلى العدل بوعي إسلامي عميق لقد تخلّى

الإمام الصادق (ع) عن ممارسة العمل المسلح ضد الحُكّام المنحرفين بشكل مباشر، وكان موقفه هذا تعبيراً واقعياً عن اختلاف صيغ العمل السياسي التي تحدّدها الظروف الموضوعية وإدراكاً عميقاً لطبيعة العمل التغييري

فالإمام (ع) حاول أن ينشر قيمه ومفاهيمه الدعوية بعيداً عن التصريحات السياسية الثورية، واتّجه نحو بناء تيّار شعبي عامّ في الأمة كما ركّز على بناء الجماعة الصالحة الممثلة لخط أهل البيت (ع) والإشراف عليها وتنظيم أساليب عملها في مواجهة الانحراف المستشري بحيث يجعلها كتلة مترابطة في العمل والتغيير وإعداد أرضية صالحة تؤدّي إلى قلب الواقع الفاسد على المدى القريب أو البعيد.

وقد استهدف الإمام (ع) في نشاطه الرسالي لونين من الانحراف :
اللون الأول: الانحراف السياسي المتمثّل في زعامة الدولة، واللون الثاني: الانحراف العقائدي والفكري والأخلاقي، ثم الانحراف السياسي عند الأمة.

كما اتّجه الإمام (ع) في حركته التغييرية الشاملة إلى حقلين مهمّين :
أحدهما: الانفتاح العام والشامل على طوائف الأمة واتجاهاتها السياسية والفكرية .
ثانيهما: مواصلة بناء جامعة أهل ألبيت (ع) العلمية .

وكلا الحقلين يعتبران من حقول النشاط العام ، وسوف نبجّته في هذا
أولاً: المحور العقائدي السياسي:

وفي هذا المحور ركّز الإمام على عدّة نشاطات:

النشاط الأول: التثقيف على عدم شرعيّة الحكومات الجائرة ورتّب على ذلك تحريم الرجوع إليها لحل النزاع والخصومات كما ورد عنه: (إياكم أن يحاكم بعضكم بعضاً إلى أهل الجور، ولكن انظروا إلى رجل منكم يعلم شيئاً من قضايانا فاجعلوه بينكم فإنّي قد جعلته قاضياً فتحاكموا إليه) (٣٣) .

وقال أيضاً: (أيما مؤمن قدّم مؤمناً في خصومة إلى قاضٍ أو سلطان جائر ففضى عليه بغير حكم الله فقد شركه في الإثم) (٣٤) .

وعن أبي بصير عنه (ع) قال: (أيما رجل كان بينه وبين أخ له ممارات في حق فدعاه إلى رجل من إخوانه ليحكم بينه وبينه فأبى إلا أن يرافعه إلى هؤلاء، كان بمنزلة الذين قال الله عز وجل: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ) (٣٥) .

وعن عمر بن حنظلة قال: سألت أبا عبد الله عن رجلين من أصحابنا بينهما منازعة في دين أو ميراث فتحاكما إلى السلطان أو إلى القضاء أيحل ذلك؟ فقال: مَنْ تحاكم إليهم في حق أو باطل فإنما تحاكم إلى طاغوت وما يحكم له فإنما يأخذ سحتاً وإن كان حقه ثابتاً؛ لأنه أخذه بحكم الطاغوت، وقد أمر الله أن يكفر به قال الله تعالى: (يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ) (٣٦) .

وفي توجيه آخر حرّم أيضاً التعاون مع الأنظمة الجائرة فمن توصياته بهذا الخصوص، قوله (ع): (إن أعوان الظلمة يوم القيامة في سرادق من نار حتى يحكم الله بين العباد) (٣٧) .

النشاط الثاني: مارس فيه التثقيف على الصيغة السياسية السليمة من خلال تبيان موقع الولاية المغصوب واستخدم الخطاب القرآني في هذا المجال الذي حاولت فيه المدارس الفكرية الأخرى تجميد النص بحدود الظاهر. فقد علق (ع) على قوله تعالى: (وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ) (٣٨) .

إن الله عز وجل اتخذ إبراهيم عبداً قبل أن يتخذه نبياً، وأن الله اتخذ نبياً قبل أن يتخذه رسولاً وإن الله اتخذ رسولاً قبل أن يتخذه خليلاً، وأن الله اتخذ خليلاً قبل أن يتخذه إماماً، فلمّا جمع له الأشياء قال: (إنني جاعلك للناس إماماً) .

قال (ع): (فَمَنْ عَظَمَهَا . أي الإمامة . في عين إبراهيم (ع) قال: ومن ذرّيتي؟ قال: لا ينال عهدي الظالمين، قال: لا يكون السفية إمام التقي).

كما فسّر (ع) قوله تعالى: (صبغة الله وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ) (٣٩) بأنّ الصبغة هي الإسلام وفي قول آخر عنه (ع) بأنّ الصبغة هي صبغ المؤمنين بالولاية، يعني الولاية لإمام الحق أمير المؤمنين (ع) في الميثاق.

كما نجده (ع) يتحدث عن الإمام أمير المؤمنين ويذكرّ الناس بحديث الغدير، ذلك الحدث السياسي الخطير في حياة الأمة، ويذكرّهم به لئلاّ يتعرّض هذا الحدث للنسيان والإلغاء. قال في حق علي (ع) (المدعو له بالولاية المثبت له الإمامة يوم غدير خم، بقول الرسول (ص): ألت أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا: بلى قال: فمن كنت مولاه فعلي مولاه، اللهمّ والِ مَنْ والاه، وعاد مَنْ عاداه، وانصر مَنْ نصره، واخذل مَنْ خذله، وأعن مَنْ أعانه)

وعندما التقى وفد من المعتزلة في مستوى رفيع ضمّ أعلامهم ورؤوسهم فكان من بينهم : عمرو بن عبيد وواصل بن عطاء وحفص بن سالم، وذلك بعد قتل الوليد واختلاف أهل الشام ، وقد أجمع رأي المعتزلة على محمد بن الحسن للخلافة الإسلامية ، وبعد أن اسندوا أمرهم في الرأي إلى زعيمهم الروحي عمرو بن عبيد ودار حوار طويل بينه وبين الإمام خاطبه الإمام قائلاً : يا عمرو لو أنّ الأمة قلّدتك أمرها فملكته بغير قتال ، ولا مؤنة قليل لك : ولّها مَنْ شئت ، مَنْ كنت تولّي؟ وبادر عمرو فقال: أجعلها شورى بين المسلمين.

قال: بين كلّهم؟ قال: نعم . قال: بين فقهاءهم وخيارهم؟. قال: نعم. قال: قريش وغيرهم؟ قال: قال له: العرب والعجم ؟ قال (ع): أخبرني يا عمرو أنتولّي أبا بكر وعمر أو تتبرأ منهما؟. قال: أتولّاها.

فقال له الإمام (ع): يا عمرو إن كنت رجلاً تتبرأ منهما فإنّه يجوز لك الخلاف عليهما، وأنت كنت تتولّاها فقد خالفتهما. فقد عهد عمر إلى أبي بكر فبايعه، ولم يشاور أحداً، ثم ردّها أبو بكر عليه ولم يشاور أحداً،

ثم جعلها عمر شورى بين ستة، فأخرج منها الأنصار غير أولئك الستة من قريش، ثم أوصى الناس فيهم . أي في الستة الذين انتخبهم . بشيء ما أراك ترضى أنت ولا أصحابك به .

وسأل عمرو الإمام (ع) عما صنع عمر قائلاً: ما صنع؟ قال الإمام (ع): أمر صهيياً أن يصلي بالناس ثلاثة أيام، وأن يتشاور أولئك الستة ليس فيهم أحد سواهم إلا ابن عمر، ويشاورونه، وليس له من الأمر شيء، وأوصى مَنْ كان بحضرته من المهاجرين والأنصار إن مضت ثلاثة أيام ولم يفرغوا ويبيعوا، أن تُضرب أعناق الستة جميعاً وإن اجتمع أربعة قبل أن يمضي ثلاثة أيام وخالف اثنان أن يضرب أعناق الاثنين ... أفترضون بذا فيما تجعلون من الشورى بين المسلمين؟ (٤٠) .

ثانياً : التربية الحوارية عند الامام (ع) :

أ . مواجهة التيارات الإلحادية :

ومن الخطوات التي خطاها الإمام (ع) هي مواجهة الأفكار الإلحادية . سابقة الذكر . حيث ناقشها بعدة أساليب حتى استفرغ محتواها ووقف أمام تحقيقها لأهدافها
نختار نماذج من تحرك الإمام ونشاطه في هذا المجال .

١ . جرت بين الإمام وأحد أقطاب حركة الكفر والإلحاد (أبو شاعر الديصاني) عدة مناظرات أفحمه الإمام فيها، وأبطل مزاعمه الواهية، وكان من بينها المناظرة التي وجّه فيها أبو شاعر السؤال التالي للإمام (ع): قائلاً: ما الدليل على أنّ لك صانعاً؟ فأجابه الإمام (ع): (وجدت نفسي لا تخلو من إحدى جهتين: إمّا أن أكون صنعتها أنا أو صنعها غيري. فإن كنت صنعتها فلا أخلو من أحد معنيين: إمّا أن أكون صنعتها وكانت موجودة فقد استغنيت بوجودها عن صنعتها، وإن كانت معدومة فإنّك تعلم أنّ المعدوم لا يحدث شيئاً، فقد ثبت المعنى الثالث: أنّ لي صانعاً وهو ربّ العالمين) (٤١) .

٢ . دخل الديصاني على الإمام الصادق (ع) فقال له: يا جعفر بن محمد دلّني على معبودي . . . وكان إلى جانب الإمام غلام بيده بيضة فأخذها منه، وقال له: (يا ديصاني هذا حصن مكنون له جلد غليظ

وتحت الجلد الغليظ جلد رقيق، وتحت الجلد الرقيق ذهب مائعة وفضة ذاتبة فلا الذهب المائعة تختلط بالفضة الذاتية ولا الفضة الذاتية تختلط بالذهب المائعة، فهي على حالها لم يخرج منها خارج يصلح فيخبر عن صلاحها، ولا دخل فيها داخل مفسد فيخبر عن فسادها، لا يدري للذكر خلقت أم للأنثى، تنفلق عن مثل ألوان الطواويس، أترى لها مدبراً؟ .

وأطرق الديصاني ملياً إلى الأرض، وأعلن التوبة والبراءة ممّا قاله (٤٢) .

٣ . ووفد زنديق آخر على الإمام (ع) وهو من الزنادقة البارزين في عصر الإمام الصادق (ع) وقد قدّم للإمام عدّة مسائل حسّاسة فأجاب عنها الإمام (ع) نذكر بعضها منها :

١ . سأله: كيف يعبد الله الخلق ولم يروه؟ فأجابه (ع): (رأته القلوب بنور الإيمان، وأثبتته العقول بيقظتها إثبات العيان، وأبصرته الأبصار بما رأته من حسن التركيب وإحكام التأليف، ثم الرسل وآياتها، والكتب ومحكماتها، واقتصرت العلماء على ما رأته من عظمتها دون رؤيته) (٤٣) .

ويتضمّن جواب الإمام (ع) بعض الأدلة الوجدانية على وجود الخالق من خلقه للمجرّات في الفضاء والتي لا تعتمد على شيء سوى قدرة الله تعالى .

ثم إنّ العقول الواعية والقلوب المطمئنّة بالإيمان هي التي ترى الله بما تبصره من بدائع مخلوقاته؛ إذ الأثر يدلّ على المؤثر والمعلول يدلّ على علّته .

٢ . وسأله : من أين أثبت أنبياء ورسلاً ؟

فأجاب (ع): (إنّا لمّا أثبتنا أنّ لنا خالقاً، صانعاً، متعالياً عنّا، وعن جميع ما خلق وكان ذلك الصانع حكيماً، لم يجز أن يشاهده خلقه، ولا أن يلامسوه ولا أن يباشروهم ويحاجّهم ويحاجّوه، ثبت أنّ له سفراء في خلقه، وعباد يدلّونهم على مصالحهم ومنافعهم، وما به بقاؤهم، وفي تركه فناؤهم. فثبت الأمرون والناهون عن الحكيم العليم في خلقه، وثبت عند ذلك أنّ له معبّرين هم أنبياء الله وصفوته من خلقه، حكماء مؤدّبين بالحكمة مبعوثين عنه، مشاركين للناس في أحوالهم على مشاركتهم لهم في الخلق والتركيب، مؤيدين من

عند الحكيم العليم بالحكمة والدلائل والبراهين والشواهد من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص، فلا تخلو الأرض من حجة يكون معه علم يدل على صدق مقال الرسول ووجود عدالته.

وأضاف الإمام الصادق (ع) قائلاً: (نحن نزعم أنّ الأرض لا تخلو من حجة ولا تكون الحجة إلا من عقب الأنبياء وما بعث الله نبياً قطّ من غير نسل الأنبياء؛ وذلك أن الله شرع لبني آدم طريقاً منيراً، وأخرج من آدم نسلًا طاهراً طيباً، أخرج منه الأنبياء والرسل، هم صفوة الله وخلص الجوهر، طهروا في الأصلاب، وحفظوا في الأرحام، لم يصبهم سفاح الجاهلية ولا شاب أنسابهم؛ لأنّ الله عزّ وجلّ جعلهم في موضع لا يكون أعلى درجة وشرفاً منه، فمن كان خازن علم الله، وأمين غيبه، ومستودع سرّه، وحجّته على خلقه، وترجمانه ولسانه لا يكون إلا بهذه الصفة، فالحجة لا تكون إلا من نسلهم، يقوم مقام النبي (ص) في الخلق بالعلم الذي عنده وورثه عن الرسول، إن جحدته الناس سكت، وكان بقاء ما عليه الناس قليلاً ممّا في أيديهم من علم الرسول على اختلاف منهم فيه، قد أقاموا بينهم الرأي والقياس، وإنهم إن أقروا به وأطاعوه وأخذوا عنه ظهر العدل، وذهب الاختلاف والتشاجر، واستوى الأمر، وأبان الدين، وغلب على الشك اليقين، ولا يكاد أن يقرّ الناس به، ولا يطيعوا له، أو يحفظوا له بعد فقد الرسول، وما مضى رسول ولا نبي قط لم تختلف أمّته من بعده).

وبهذا المستوى من الحوار وعمقه يستمرّ الإمام (ع) في أجوبته العملاقة حتى تصل الأسئلة والأجوبة إلى خمسة وتسعين (٤٤)، ونظراً لسعتها اقتصرنا على الثلاث الأولى منها.

ب: طرح المنهج الصحيح لفهم الشريعة :

إنّ الإمام الصادق (ع) في الوقت الذي كان يواجه هذه التيارات الإلحادية الخطيرة على الأمة كان مشغولاً أيضاً بمواجهة التيارات التي تتبنّى المناهج الفقهية التي تتنافى مع روح التشريع الإسلامي، والتي تكمن خطورتها في كونها تعرّض الدين إلى المحق الداخلي والتغيير في محتواه، من هنا كان الإمام (ع) ينهى أصحابه عن العمل بها حتّى قال لأبان: (يا أبان! إنّ السّنة إذا قيسست محق الدين) (٥٠).

وكان للإمام نشاط واسع لإثبات بطلان هذه المناهج وبيان عدم شرعيتها .
 لقد كان أبو حنيفة يتبنّى مذهب القياس ويعمل به كمصدر من مصادر التشريع في استنباط الأحكام ، لكنّ الإمام (ع) كان ينكر عليه ذلك ويبين له بطلان مذهبه .
 وإليك بعض المحاورات التي جرت بينه وبين الإمام (ع):
 ذكروا أنّه وفد ابن شبرمة مع أبي حنيفة على الإمام الصادق (ع) فقال لابن شبرمة : (مَنْ هذا الذي معك ؟) فأجابه قائلاً : رجل له بصر ، ونفاذ في أمر الدين .
 فقال له (ع): (لعله الذي يقيس أمر الدين برأيه ؟) فأجابه : نعم .
 والتفت الإمام (ع) إلى أبي حنيفة قائلاً له : (ما اسمك ؟) فقال : النعمان .
 فسأله (ع): (يا نعمان! هل قست رأسك؟)
 فأجابه: كيف أقيس رأسي ؟ .
 فقال له (ع): ما أراك تحسن شيئاً . هل علمت ما الملوحة في العينين؟ والمرارة في الأذنين، والبرودة في المنخرين والعذوبة في الشفتين؟
 فبهر أبو حنيفة وأنكر معرفة ذلك ووجّه الإمام إليه السؤال التالي: (هل علمت كلمة أولها كفر، وآخرها إيمان؟) فقال : لا .
 والتمس أبو حنيفة من الإمام أن يوضّح له هذه الأمور فقال له (ع): (أخبرني أبي عن جدّي رسول الله (ص) أنّه قال: إنّ الله تعالى بفضله ومنّه جعل لابن آدم الملوحة في العينين ليلتقطا ما يقع فيهما من القذى، وجعل المرارة في الأذنين حجاباً من الدوابّ فإذا دخلت الرأس دابّ، والتمست إلى الدماغ ، فإن ذاق المرارة التمتست الخروج، وجعل الله البرودة في المنخرين يستنشق بهما الريح ولولا ذلك لأنتن الدماغ ، وجعل العذوبة في الشفتين ليجد لذة استطعام كل شيء) .
 والتفت أبو حنيفة إلى الإمام (ع) قائلاً: أخبرني عن الكلمة التي أولها كفر وآخرها إيمان؟

فقال له (ع): (إِنَّ العبد إذا قال: لا إله فقد كفر فإذا قال إلا الله فهو الإيمان) .
وأقبل الإمام على أبي حنيفة ينهاه عن العمل بالقياس حيث قال له: (يا نعمان حدثني أبي عن جدي رسول الله (ص) أنه قال: أول من قاس أمر الدين برأيه إبليس ، قال له الله تعالى: اسجد لآدم فقال: (أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين) (٥١) .
والتقى أبو حنيفة مرة أخرى بالإمام الصادق (ع) فقال له الإمام: (ما تقول في محرم كسر رباعية ظبي؟). فأجابه أبو حنيفة : يا بن رسول الله ما أعلم ما فيه .
فقال له (ع): (ألا تعلم أن الظبي لا تكون له رباعية ، وهو ثني أبدأ ؟!)
ثم التقى أبو حنيفة مرة ثالثة بالإمام الصادق، وسأله الإمام (ع) عن بعض المسائل، فلم يجبه عنها وكان من بين ما سأله الإمام هو : (أيهما أعظم عند الله القتل أو الزنا ؟) فأجاب : بل القتل .
فقال (ع): (كيف رضي في القتل بشاهدين ، ولم يرض في الزنا إلا بأربعة؟)
وهنا لم يمتلك أبو حنيفة جواباً حيث ردّ الإمام قياسه بشكل واضح .
ثم وجّه الإمام (ع) إلى أبي حنيفة السؤال التالي: (الصلاة أفضل أم الصيام؟) فقال: بل الصلاة أفضل.
فقال الإمام (ع): (فيجب . على قياس قولك . على الحائض قضاء ما فاتها من الصلاة في حال حيضها دون الصيام، وقد أوجب الله تعالى قضاء الصوم دون الصلاة؟!) .
د: مواجهة التحريف والاستغلال السياسي للقرآن ومفاهيمه:
قام الإمام الصادق (ع) بحماية القرآن وصيانيته من عملية التوظيف السياسي، التي تجعل النص القرآني خادماً لأغراض سياسية مشبوهة ، تحاول إسباغ طابع شرعي على الحكم الظالم وشلّ روح الثورة وإطفاء روح المقاومة في نفوس الأمة وبالتالي إسقاط شرعية القوى الرافضة لهذه النظم الظالمة ؛ حتى قيل في تفسير قوله تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ * وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ) (٥٢) .

(أنّها قد نزلت في علي بن أبي طالب) (ع) (٥٣) .

كما زيف الإمام (ع) النظرة الجامدة للنصّ القرآني والتي تحاول تعطيله عن المواكبة للواقع المتغيّر والمتطوّر وحبسه في حدود الظاهر، ولم يسمح بالتأويل الباطني الفاسد. كما قاوم بعنف التفسير الذي يعتمد الرأي بعيداً عن الأحاديث الصحيحة الواردة عن الرسول (ص) وأهل بيته المعصومين (ع) قال (ع) : (مَنْ فسّر القرآن برأيه إن أصاب لم يؤجر، وإن أخطأ كان إثمه عليه) .

قال (ع): (الراسخون في العلم أمير المؤمنين والأئمة من بعده) (٥٤)، وقال أيضاً: (نحن الراسخون في العلم ونحن نعلم تأويله). وجاء عن زيد بن معاوية، عن الإمام الصادق (ع) في تفسير قول الله عزّ وجلّ : (وما يعلم تأويله إلاّ الله والراسخون في العلم) (٥٥) ، (فرسول الله (ص) أفضل الراسخين في العلم قد علّمه الله عزّ وجلّ جميع ما أنزل عليه من التنزيل والتأويل ، وما كان الله لينزل عليه شيئاً لم يعلمه تأويله وأوصيائه من بعده يعلمونه كلّهُ) (٥٦) .

وجاء عنه (ع) في تفسير قوله تعالى: (بل هو آيات بيّنات في صدور الذين أوتوا العلم) أنّهم هم الأئمة . ودخل عليه الحسن بن صالح بن حي فقال له: يا بن رسول الله! ما تقول في قوله تعالى: (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) النساء: ٥٩؟ مَنْ أولو الأمر الذين أمر الله بطاعتهم؟ قال: (العلماء). فلما خرجوا قال الحسن: ما صنعنا! ألا سألناه مَنْ هؤلاء العلماء؟! فرجعوا إليه، فسألوه فقال: (الأئمة ممّا أهل البيت) .

ثالثاً : المحور الروحي والأخلاقي:

لاحظ الإمام الصادق (ع) تأثير موجات الانحراف الفكري والسياسي على الأمة ومدى إفسادها لعقول الناس، وما لعبته سياسة الأمويين من خلق أجواء ملائمة لطغيان النزعات الإلحادية والقبلية حتى عمّ الانفلات الأخلاقي، كما كثر في زمانه (ع) رفع شعار الورع والتقوى. كل ذلك أفقد الأمة قيمها وأبعدها عن الأخلاق التي أمر بها الرسول (ص) وأرادها لأمتّه .

من هنا كان دور الإمام (ع) وتوجهه الروحي والأخلاقي مع الأمة في عدة أبعاد :

البعد الأول: كونه (ع) القدوة الصالحة والمثال الواقعي الذي تتجسد في شخصه أخلاق الرسالة ؛ مما يكون موقعاً لإشعاع الفضيلة ونموها، ويكشف من جانب آخر زيف الأنانية ونزعات الذات .

البعد الثاني: تقديم مجموعة من الوصايا والرسائل والتوجيهات التربوية والأخلاقية التي عالج من خلالها الخواء الروحي والانحراف الأخلاقي الذي نما في سنوات الانحراف .

أمّا في البعد الأول فنجد الإمام (ع) كان يدعو الناس إلى الفضيلة برفق ولين ويجادلهم بالتّي هي أحسن، وكان يسمح للسائلين بطرح أسئلتهم مهما كانت وكان يوضح لهم ما كان غامضاً عليهم.

كما كان لا يقبل من مقربيه أن يتشدّدوا بدعوتهم حيث كان يقول لهم: (لأحملنّ ذنوب سفهائكم على علمائكم ، ما يمنعمكم إذا بلغكم عن الرجل منكم ما تكرهون ، وما يدخل به الأذى علينا، أن تأتوه فتؤنّبوه وتعذلوهم وتقولوا له قولاً بليغاً) فقال له بعض أصحابه إذاً لا يقبلون منّا ، قال: اهجروهم واجتنبوا مجالسهم.

فالإمام هنا يوصي العالم من أصحابه أن لا يتخلّى عن رسالته في إرشاد الإنسان الجاهل المنتمي إلى مدرسة أهل البيت (ع) بحجة تماديه وجرأته بارتكاب المخالفات ممّا يعكس الوجه السلبي لاتباع الإمام فيؤدي دعاة الإصلاح .

ففي نظر الإمام (ع) لا يجوز تركه وإهماله إلّا بعد اليأس من إصلاحه وإزالة الشك من ذهنه (٥٧).

البعد الثالث: وكان يحرص على شدّ أواصر المجتمع الإسلامي وإشاعة الفضيلة بين الناس ليقضي على العداوة والبغضاء، فكان (ع) يدفع إلى بعض أصحابه من ماله ليصلح بين المتخاصمين على شيء من حطام الدنيا من أجل القضاء على المقاطعة والهجران؛ لئلا يدفعهم التخاصم إلى الترافع لحكام الجور والذي كان قد نهى (ع) عنه .

٣. دور الإمام الصادق (ع) في بناء الجماعة الصالحة:

لقد تحدّثنا عن طبيعة الظروف السياسية وتناقضاتها والمظاهر الحياتية المضطربة، والدور التخريبي الذي لعبته التيارات الفكرية والسياسية المنحرفة في ضمير الأمة وفكرها وثقافتها. وعلى رأس هذا المدّ المنحرف كانت سياسة الأمويين الظالمة التي استمرّت لزمن طويل نسبياً .

كما تحدّثنا عن خطّ الإمام (ع) ومنهجه الإصلاحی العام مع الأمة، حيث كانت الجامعة العلمية إحدى حلقات منهجه الإصلاحی الشامل .

ولم يقتصر نشاط الإمام (ع) على بناء الجامعة العلمية وغيرها من الأنشطة العامة؛ لأنّه كان يدرك جيداً أنّ هدفه الكبير هو الحفاظ على الإسلام الذي سوف يتعرّض للتعطيل إذا اقتصر على ذلك ولم يستهدف المحتوى الداخلي للأفراد، ولم يسع لبناء الشخصيات الصالحة التي تمدّ الساحة الإسلامية العامة بعوامل القوة والبقاء والحفاظ على الأمة والدفاع عن مقدّساتها.

ولاً: الهدف من إيجاد الجماعة الصالحة:

من هنا كان تحرّك الإمام نحو بناء الجماعة الصالحة بهدف تغيير المجتمع الإسلامي وفق أطروحة أهل البيت (ع)؛ لأنّ وجود مثل هذا التيار المتماسك يوفّر جملة من المكاسب والمنافع والأهداف التي كان يسعى الإمام (ع) لتحقيقها في حركته الرساليّة.

إنّ الجماعة الصالحة تحقّق ديمومة خطّ أهل البيت (ع) حيث يشكّل وجودها خطوة عملية باتّجاه مشروعهم الكبير .

ونلخص فيما يلي بعض النقاط التي يُحقّقها وجود هذه الجماعة الصالحة.

١ . المحافظة على المجتمع الإسلامي:

إنّ وجود هذا الخط في وسط الأمة سوف يوسّع من دائرة الأفراد الصالحين والواعين وكلّما اتّسعت هذه الدائرة كان الإمام (ع) أكثر اقتداراً على التغيير وإدارة العمل السياسي الذي يخوضه مع الحكّام .

ويمثل هذا الخط القوة التي تقف بوجه التحديّ الفكري والأخلاقي الذي واجهه العالم الإسلامي حينذاك، وقد كان من المشهود تاريخياً ما لهذه الجماعة الصالحة من دور فعال ومتميز في تزييف البنى الفكرية والسياسية التي تعتمدها الفرق الضالّة من خلال مطارحاتهم ومناقشاتهم مع أقطاب تلك الفرق كالزنادقة والمجبرة والمرجئة وغيرها (٥٨) .

وامتاز أصحاب الإمام الصادق (ع) عن غيرهم بالمواقف الشجاعة والتمسك بالمثل والقيم العليا وعدم المداينة وعدم الركون لإغراءات السلاطين، وتحملوا . جزاء التزامهم بالقيم المثلى . شتى ألوان القمع والاضطهاد، وكان لمواقفهم الشجاعة الأثر الكبير في ثبات ومقاومة المجتمع الإسلامي أمام موجات الانحراف.

٢ . الحفاظ على الشريعة الإسلامية:

وقف الإمام الصادق (ع) ضدّ حملات التشويه التي أرادت أن تعصف بالشريعة الإسلامية وتعرضها للانحراف الذي أصاب الشرايع الأخرى من خلال دخول أفكار غريبة عن الشريعة بين أتباعها، واستخدام أدوات جديدة لفهم الشريعة كالقياس والاستحسان والمصالح المرسلة .

ونتيجة للمستوى العلمي الرفيع الذي كان يتمتع به أصحاب الإمام وشيعته لم تصبح مسألة الإفتاء والاستنباط خاضعة لمصلحة السلاطين وأهوائهم أو منسجمة مع متبنياتهم الفكرية، بل بقي الفهم الصحيح للكتاب والسنة مستقلاً عن تلك المؤثرات وبعيداً عن استخدام تلك الأدوات الدخيلة على التشريع . وعندما استخدمت الجماعات الأخرى تلك الأدوات الاجتهادية أدّت هذه الجراءة إلى آثار سلبية ممّا اضطرّها إلى أن تلجأ إلى غلق باب الاجتهاد، وكان هذا القرار قد ترك هو الآخر آثاراً سلبية في المجتمع الإسلامي؛ لعدم قدرتها على معالجة التطوّرات الجديدة التي كانت تواجهها البلاد الإسلامية فيما بعد .

لقد أكد الإمام الصادق (ع) قضية مهمة واعتبرها رصيذاً مهماً لفهم النصوص وتبيينها والاستنباط منها وتلك هي ملكة التقوى والعدالة التي لا بدّ للفقهاء أن يتمتع بها ليكون حارساً أميناً للشرعية، والأمة التي تريد تطبيقها في الحياة.

والعدالة عند الإمام (ع) شرط في كثير من الممارسات الحياتية فهي شرط في إمام الجماعة وفي شهود الطلاق وفي القاضي والحاكم والوالي .

وهذه المزية لها دور كبير في حفظ الشريعة وحفظ النصوص الإسلامية بحيث تميز هذه المدرسة عن غيرها كما أنّ أصحاب الإمام (ع) لم يتعاملوا مع النصوص الواردة عن الرسول (ص) والأئمة (ع) كما تعاملوا مع النص القرآني القطعي الصدور، بل تناولوها بالدراسة والنقد والتحليل؛ لأنّ الراوي قد لا يكون معصوماً عندهم بالرغم من إيمانهم بعصمة الإمام المروي عنه.

٣. المطالبة بالحكم الإسلامي:

إنّ القيادة السياسية حق مشروع للأئمة المعصومين من أهل البيت (ع) وفق النصوص الإسلامية الثابتة عن الرسول (ص) والتي تواترت عند مدرسة أهل البيت (ع).

ومن هنا كانت القيادة السياسية التي تولّت الحكم بعد الرسول (ص) مباشرة لا تحمل الصفة الشرعية بالرغم من نزول المسلمين عند إرادتها وعدم مواجهتها بالعنف، فضلاً عن الحكّام الأمويين والعباسيين الذين عاصروهم الإمام الصادق (ع) حيث مارسوا شتى الطرق لإبعاد الإمام (ع) وآبائه الكرام عن هذا الموقع الريادي (٥٩).

والإمام (ع) كان يرى ضرورة العمل من أجل إيجاد الكيان الإسلامي الصحيح والمطلوب وذلك من خلال وجود المجتمع الإسلامي الصالح الذي يؤمن بالقيادة الشرعية الحقيقية المتمثلة في الأئمة من أهل البيت (ع).

وهكذا كان الإمام (ع) يلفت النظر إلى ضرورة وجود هذه القاعدة الصالحة حين كان يجيب على التساؤلات التي كانت تدور في نفوس أصحابه كجوابه لسدير الصيرفي حيث جاء فيه بأن المطالبة بالحكم وإعلان الثورة المسلحة يعتمد الجماعة الصالحة التي تطيع وتضحي وتحمل مسؤولية التغيير وتكون لها القدرة على التصدي لكل عوامل الانحراف .

وهكذا تبدو أهمية السعي لتكوين وترشيد حركة الجماعة الصالحة في هذه المرحلة من حياة الإمام (ع) وتوسيع رقعتها في أرجاء العالم الإسلامي .

ومن هنا كان ترسيخ مبادئ وأهداف ومعالَم وحيوية الثورة الحسينية في نفوس الجماعة الصالحة من خطوات الإمام الكبيرة في هذا الصدد .
البناء الروحي والإيماني:

لقد تعرّض الواقع الإيماني والروحي في زمن الإمام الصادق (ع) إلى الخواء والذبول وبروز الأنانية وفصل الإيمان عن الأنشطة الحياتية الأخرى وإعطائه صورة مشوهة، وقد جاء ذلك بسبب عبث التيارات الفكرية التي استندت إلى دعم السلاطين والتي كانت تؤمن هي الأخرى أيضاً بلزوم طاعة الحاكم الأموي والعباسي؛ تبريراً لدعمها للخط الحاكم .

من هنا بذل الإمام نشاطاً واسعاً لاستعادة الإيمان وبناء الذات وسموها وفق الخط القرآني وترشيح قواعد إيمانية رصينة، والانطلاق بالإيمان إلى آفاق أرحب وأوسع بدل التقوقع والنظرة الأحادية المجزئة للدين ؛ لأنّ الإيمان بهذا المعنى يمنح المؤمن القوة في اقتحام الميادين الصعبة وتحمل المسؤوليات ويمدّه بالنشاط والحيوية في مواصلة العمل والجهاد .

كما بيّن الإمام (ع) أنّ القلب الخالي من مخافة الله . التي هي معيار الكمال والقوة لقلب المؤمن . ليس بشيء، فالقلب المملوء خوفاً من الله الكبير المتعال تتصاغر عنده سائر القوى مثل قوّة السلطان وقوّة المال وكل قوّة بشرية، والقلب الذي لا يستشعر الرقابة الإلهية ويتغافل عن هيمنتها يكون ضعيفاً وساقطاً مهما بدا

قوياً وعظيماً. عن الهيثم بن واقد قال سمعت أبا عبد الله (ع) يقول: (مَنْ خَافَ اللَّهَ أَخَافَ اللَّهَ مِنْهُ كُلَّ شَيْءٍ وَمَنْ لَمْ يَخَفِ اللَّهَ أَخَافَهُ اللَّهَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ) (٦١) .

ومن الوسائل التي استخدمها الإمام (ع) في منهجه التغييري وبنائه للمجتمع الفاضل هو اهتمامه وتركيزه على النموذج الشيعي الذي يشكل القدوة الحسنة في سلوكه ليكون عنصراً مؤثراً ومحفزاً للخير ومشجعاً لنمو الفضيلة في داخل المجتمع. وقد بذل الإمام (ع) جهداً منقطع النظير في تربيته وإعداده للنموذج القدوة وقد سلّحه بمختلف العلوم وأحاطه بجملة من الوصايا والتوجيهات العلمية والأخلاقية. واستطاع الإمام بطاقاته الإلهية أن يصنع عدداً كبيراً من هؤلاء الذين أصبحوا فيما بعد قادةً ومناراً تهوي إليهم القلوب لتنتهل من علومهم، وبقي اسمهم مخدداً في التاريخ يتناقل المسلمون مآثرهم جيلاً بعد جيل. البناء الاجتماعي:

رسم الإمام الصادق (ع) الخط العام للعلاقات الاجتماعية للجماعة الصالحة، وبيّن نظامها ووضع الأسس والقواعد المبدئية لهذا النظام ورسخها في نفوسهم؛ ليتمكّن الفرد الصالح من العيش في المجتمع وفي الظروف الصعبة، ويمتلك القدرة في مواجهة المخططات التي تسعى لتفتيت مثل البناء الذي يهدف له الإمام وهو النظام الاجتماعي الذي خطط له الإمام، وأمدّه بعناصر البقاء والاستمرار ليمتدّ بجذوره في أوساط الأمة.

المبحث الثاني: مؤثرات المنهج التربوي في زمن الامام الصادق (ع):

١. المؤثرات التربوية في نهاية الحكم الأموي:

أدرك الامام الصادق (ع) طرفاً كبيراً من العصر الأموي، وعاصر كثيراً من ملوكهم، وشاهد من حكمهم أعنف أشكاله، وقضى سنوات عمره الأولى حتى الحادية عشرة من عمره مع جده زين العابدين، وحتى الثانية والثلاثين مع أبيه الباقر ونشأ في ظلّهما يتغذى من تعاليمهما وتنمو مواهبه وتربى تربيته الدينية، وتخرج من تلك المدرسة الجامعة فاختص بعد وفاة أبيه بالزعامة سنة ١١٤هـ، واتسعت مدرسته بنشاط الحركة العلمية في المدينة ومكة والكوفة وغيرها من الأقطار الإسلامية.

وقد اتسم العصر المذكور الذي عاشه الإمام بظهور الحركات الفكرية، ووفود الآراء الاعتقادية الغريبة إلى المجتمع الإسلامي ، وأهمها عنده هي حركة الغلاة الهدامة ، الذين تطلعت رؤوسهم في تلك العاصفة الهوجاء إلى بث روح التفرقة بين المسلمين، وترعرت بنات أفكارهم في ذلك العصر ليقوموا بمهمة الانتصار لمبادئهم التي قضى عليها الإسلام ، فقد اغتتموا الفرصة في بث تلك الآراء الفاسدة في المجتمع الإسلامي ، فكانوا يبيثون الأحاديث الكاذبة ويسندونها إلى حملة العلم من آل محمد ، ليغروا بها العامة ، فكان المغيرة بن سعيد يدعي الاتصال بأبي جعفر الباقر ويروي عنه الأحاديث المكذوبة ، فأعلن الإمام الصادق (ع) كذبه والبراءة منه، وأعطى لأصحابه قاعدة في الأحاديث التي تروي عنه ، فقال: "لا تقبلوا علينا حديثاً إلا ما وافق القرآن والسنة، ثم إن الإمام قام بهداية الأمة إلى النهج الصواب في عصر تضاربت فيه الآراء والأفكار، واشتعلت فيه نار الحرب بين الأمويين ومعارضيه من العباسيين ، ففي تلك الظروف الصعبة والقاسية استغل الإمام الفرصة فنشر من أحاديث جده ، وعلوم آبائه ما سارت به الركبان ، وتربى على يديه آلاف من المحدثين والفقهاء . ولقد جمع أصحاب الحديث أسماء الرواة عنه من الثقات - على اختلاف آرائهم ومقالاتهم- فكانوا أربعة آلاف رجل وهذه سمة امتاز بها الإمام الصادق عن غيره من الأئمة - (ع). إن الإمام (ع) شرع بالرواية عن جده وآبائه عندما اندفع المسلمون إلى تدوين أحاديث النبي (ص) بعد الغفلة التي استمرت إلى عام ١٤٣ هـ حيث اختلط آنذاك الحديث الصحيح بالضعيف وتسربت إلى السنة ، العديد من الروايات الإسرائيلية والموضوعة من قبل أعداء الإسلام من الصليبيين والمجوس، بالإضافة إلى المختلقات والمجعولات على يد علماء السلطة ومرتزة البلاط الأموي.

ومن هنا فقد وجد الإمام (ع) أن أمر السنة النبوية قد بدأ يأخذ اتجاهات خطيرة وانحرافات واضحة، فعمد (ع) للتصدي لهذه الظاهرة الخطيرة ، وتقنيد الآراء الدخيلة على الإسلام والتي تسرب الكثير منها نتيجة

الاحتكاك الفكري والعقائدي بين المسلمين وغيرهم إن تلك الفترة كونت تحدياً خطيراً لوجود السنة النبوية، وخطاً فاضحاً في كثير من المعتقدات ، لذا فإن الإمام (ع) كان بحق سفينة النجاة من هذا المعترك العسر . إن علوم أهل البيت (ع) متوارثة عن جدهم المصطفى محمد (ص)، الذي أخذها عن الله تعالى بواسطة الأمين جبرئيل (ع) ، فلا غرو أن تجد الأمة ضالتها فيهم (ع)، وتجد مرفأ الأمان في هذه اللجج العظيمة ، ففي ذلك الوقت حيث أخذ كل يحدث عن مجاهيل ونكرات ورموز ضعيفة ومطعونة، أو أسانيد مشوشة ، تجد أن الإمام الصادق (ع) يقول: "حديثي حديث أبي، وحديث أبي حديث جدي، وحديث جدي حديث علي بن أبي طالب، وحديث علي حديث رسول الله (ص)، وحديث رسول الله قول الله عز وجل، إن للإمام الصادق وراء ما نشر عنه من الأحاديث في الأحكام التي تتجاوز عشرات الآلاف، مناظرات مع الزنادقة والملحدين في عصره، والمتقشفين من الصوفية ، ضبط المحققون كثيراً منها، وهي في حد ذاتها ثروة علمية تركها الإمام (ع)، وأما الرواية عنه في الأحكام فقد روى عنه أبان بن تغلب ثلاثين ألف حديث حتى أن الحسن بن علي الوشاء قال: أدركت في هذا المسجد (مسجد الكوفة) تسعمائة شيخ كل يقول حديثي جعفر بن محمد وأما ما أثر عنه من المعارف والعقائد فحدث عنها ولا حرج ، ولا يسعنا نقل حتى القليل منها، ومن أراد فليرجع إلى مظانها يقول "سيد أمير علي" بعد النقاش حول الفرق المذهبية والفلسفية في عصر الإمام: "ولم تتخذ الآراء الدينية اتجاهاً فلسفياً إلا عند الفاطميين، ذلك أن انتشار العلم في ذلك الحين أطلق روح البحث والاستقصاء، وأصبحت المناقشات الفلسفية عامة في كل مجتمع من المجتمعات، والجدير بالذكر أن زعامة تلك الحركة الفكرية إنما وجدت في تلك المدرسة التي ازدهرت في المدينة، والتي أسسها حفيد علي بن أبي طالب المسمى بالإمام جعفر والملقب بالصادق، وكان رجلاً باحثاً ومفكراً كبيراً جيد الإمام بعلوم ذلك العصر، ويعتبر أول من أسس المدارس الفلسفية الرئيسية في الإسلام ولم يكن يحضر محاضراته أولئك الذين أسسوا فيما بعد المذاهب الفقهية فحسب بل كان يحضرها الفلاسفة وطلاب الفلسفة من الأنحاء القصية ، وكان الإمام " الحسن البصري " مؤسس المدرسة الفلسفية في مدينة البصرة ، وواصل

بن عطاء مؤسس مذهب المعتزلة من تلاميذه ، الذين نهلوا من معين علمه الفياض وقد عرف واصل والإمام العلوي بدعوتهما إلى حرية إرادة الإنسان . . . (٧١) .

اولا :المستجدات السياسية:

لقد تداعا النظام الأموي في هذه المرحلة التاريخية من حياته بعد أن فقد في نظر الأمة كل مبرراته الحضارية ، عقائدية كانت أو سياسية ، ولم يبق في قبضته سوى منطق السيف الذي هو آخر مواطن القوة التي كان يدير بها شؤون البلاد .

وحتى هذا المنطق لم يدم طويلاً أمام إرادة الأمة رغم صرامة آخر ملوك الأمويين (مروان) المعروف في حسمه .

لقد استحكمت قناعة الأمة وأمنت بضرورة التخلص من الطغيان الأموي ، ولم يبق بعد شيء بيد وعَظَ السلاطين ليرتشوا به ويدافعوا عن وجه الاستبداد الأموي الكالح فيوظفوا القرآن والحديث لصالح مملكته ولزوم طاعة الأمة لحكامها ؛ حيث تراكمت في ذهن الأمة وضميرها تلك المظالم التي ارتكبت بحق ذرية رسول الله (ص) بدءاً بسمّ معاوية للإمام الحسن (ع) وسبّه الإمام عليّ أخي رسول الله (ص) وابن عمّه وزوج ابنته وجعل السبّ سُنَّةً، ثم قتل الحسين بن علي ربحانة الرسول (ص) وأهل بيته وخيرة أصحابه بأمر يزيد وعمّاله، وأخذ البيعة من أهل المدينة في واقعة الحرة الأليمة على أنّهم عبيد له بعد أن أباحها لجيشه ثلاثة أيام .

وقول عبد الملك بن مروان : (مَنْ أوصاني بتقوى الله ضُربت عنقه) (٧٢) . وقتل الطاغية هشام لزيد بن علي (ع) وصلبه وحرّق جثمانه الشريف .

وفساد الولاة الأمويين بالإضافة إلى جبايتهم الضرائب الظالمة، وشقّ صف وحدة الأمة الإسلامية وتمزيقها إلى طوائف بإشاعتهم للروح القبلية حيث فرّقوا بالعطاء واستعبدوا الشعوب غير العربية .

وهكذا ظهرت إلى سطح الساحة الفكرية والفقهية آراء لا ترى أية شرعية للنظام الأموي وعبرت عن ذلك في وسط الأمة وأصبح مدح العلويين أمراً تتناقله الناس رغم سلبية موقف السلطة منهم، بعد أن كان الخوف يمنعهم من التعبير عن رأيهم

وهكذا استعدت الأمة بفعل تراكم الظلم الأموي؛ لأنّ تتقبّل أي بديل من شأنه أن ينقذها من الكابوس الأموي، لعلّها تنعم بشيء من العدل والمساواة .

وهذا الجو قد شجّع على ظهور اتجاهات وادّعاءات سياسية تحرض الأمة وتدعوها إلى الانضمام تحت رايتها تحقيقاً لأطماعها في الخلافة، كما تطلّعت الأمة للمنفذ باحثاً عن أخباره بشغف وأخذت فكرة المهدي المنتظر تشقّ طريقها في أوساط الأمة المظلومة.

ومن جانب آخر اتّسع خط الإمام (ع) وامتدّ وكثرت أنصاره واستلهمت الأمة ثقافته حيث إنّه قد أثر في عقلها وقراراتها، ليس على المستوى الخاص الذي يحظى برعاية الإمام فحسب، أو في دوائر محدودة ، بل أصبح له وجود في مختلف البلاد الإسلامية وتألّق الإمام الصادق (ع) ودخل صيته في كل بيت حتى أصبح مرجعاً روحياً تهوى إليه القلوب من كل مكان وتلوذ به لحل مشكلاتها الفكرية والعقائدية والسياسية. ولم يكن هذا الامتداد منحصراً بين عموم الناس وسواها بل كان الإمام (ع) مرجعاً لعلمائها وموئلاً لساستها، فهذا سفيان الثوري يقول: دخلت على الإمام الصادق (ع) فقلت له: أوصني بوصية أحفظها من بعدك. قال: (وتحفظ يا سفيان؟ قلت: أجل يا بن رسول الله. قال: يا سفيان لا مروّة لكذوب ولا راحة لحسود ولا إخاء لملول ولا خلّة لمختال ولا سؤدد لسيّء الخلق) (٧٣) .

ودخل عليه مرة أخرى يطلب منه المزيد من التعاليم فقال (ع): (يا سفيان الوقوف عند كل شبهة خير من الاقتحام في الهلكة، وترك حديث لم تروه أفضل من روايتك حديثاً لم تحصه، إنّ على كل حق حقيقة وعلى كلّ صواب نوراً . ما وافق كتاب الله فخذوه وما خالفه فدعوه) (٧٤) وكانت لسفيان الثوري لقاءات أخرى مع الإمام (ع)، بل كانت علاقته به علاقة التلميذ بأستاذه .

وكان من جملة العلماء الذين يدخلون على الإمام للاستفادة منه: حفص بن غياث وهو أحد أعلام عصره وأحد المحدثين في وقته فكان يطلب من الإمام (ع) أن يرشده ويوصيه. فقال له الإمام (ع): (إن قدرت أن لا تعرفوا فافعلوا، وما عليك أن لم يثن الناس عليك . إلى أن قال: إن قدرت أن لا تخرج من بيتك فافعل فإنّ عليك في خروجك أن لا تغتاب، ولا تكذب ولا تحسد، ولا ترائي، ولا تداهن) .

وشهد المنصور بحقه وهو ألدّ أعدائه قائلاً: إنّ جعفر بن محمد كان ممّن قال الله فيه (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا) وكان ممّن اصطفى الله وكان من السابقين بالخيرات (٧٥) .

ولم يكن الإمام مرجعاً للعلماء والفقهاء والمحدثين وقائداً للنهضة الفكرية والعلمية في زمانه فحسب ، بل كان مرجعاً للساسة والنوّار حيث كان الزعيم الحقيقي للخط العلوي الثائر ، حيث نجد زيدا الشهيد بن علي بن الحسين عليهما السلام يرجع إليه في قضية الثورة ، كما كان زيد يقول بحق الإمام (ع) في كل زمان رجل ممّا أهل البيت يحتج الله به على خلقه ، وحجّة زماننا ابن أخي جعفر لا يضل من تبعه ولا يهتدي من خالفه (٧٦) .

ثانيا : الانحراف الفكريّ والعقائديّ:

في الفترة الواقعة بين سنة ٩٥هـ و ١٢٤هـ. تعدّدت التيارات الفكرية والعقائدية المنحرفة، وأصبحت ذات أتباع وأنصار، وتحوّلت إلى كيانات ذات إفرزات سياسية خالف الكثير منها الأسس الواضحة في العقيدة الإسلامية، فانتشرت أفكار الجبر والتفويض والإرجاء والتجسيم وتشبيه الله تعالى بخلقه. وتعدّدت تيارات الغلو، وراجت الزندقة، وتزوير الحديث، وازداد الاهتمام بالصحابة كبديل عن أهل البيت (ع) ومن هنا حاولوا توسيع دائرة الصحبة والصحابة ليدخل في هذا العنوان كلّ من عاصر الرسول (ص) بشكل من الأشكال وإن لم يتأثر بثقافته وروحه. وقد وصف الإمام الرضا (ع) دور الحكّام في عملية التزوير للحديث قائلاً: "إنّ مخالفينا وضعوا أخباراً في فضائلنا وجعلوها على ثلاثة أقسام: أحدها: الغلو.

وثانيها: التقصير في أمرنا.

وثالثها: التصريح بمثالب أعدائنا

ثالثا : الانحراف السياسي:

حوّل الأمويّون الخلافة إلى ملك يتوارثه الأبناء عن الآباء، واستبدّوا بالأمر فلا شورى ولا استشارة إلاّ للمنحرفين والفساق.

أمّا بالنسبة إلى حكامهم والسياسة التي اتّبعوها فكانت على الشكل التالي:

كان الوليد بن عبد الملك جبّاراً عنيداً ظلوماً غشوماً ، وحاول سليمان بن عبد الملك من بعده أن يُصلح الأوضاع تقرّباً إلى الناس فأطلق السجناء، لكن سياسته العامّة لم تتغيّر لأنّ كثيراً من البلدان كان يتولّاها القساة الظلمة من أمثال والي العراق خالد بن عبد الله القسريّ واتبّع الوليد وسليمان ابنا عبد الملك سيرة أبيهما في قتل الرافضين للبيعة لهما.

وحينما تولّى عمر بن عبد العزيز الحكم اتّخذ سياسة جديدة تخالف من سبقه، فقام ببعض الإصلاحات كمنح الحرّية للمعارضين، وألغى سنّة سبّ أمير المؤمنين (ع) من على منابر المسلمين، وردّ فدكّ إلى أهل البيت (ع) ، وأمر برّد المظالم ولكنّ حكمه لم يدم أكثر من سنتين وخمسة أشهر، ثمّ عاد الوضع إلى ما كان عليه سابقاً وكثرت في هذه المرحلة اختلافات البيت الأمويّ تنافساً على الحكم، كما كثرت الفتن الداخليّة. وقد أفتى بعض المتملّقين إلى الأمويّين أنّه ليس على الخلفاء حساب وكانت الأُمّة الإسلاميّة محاطة بمخاطر شتّى، ففي سنة ١٠٤هـ ظفر الخزر بالمسلمين وانتصروا عليهم في بعض الثغور. وفي عهد هشام بن عبد الملك ازداد الإرهاب والتكيل بأهل البيت (ع) وأتباعهم وسائر المعارضين. فقد أقدم هشام على سجن الإمام الباقر (ع) ثمّ أخرجه لتأثّر السجّانين به وأصدر أوامره بقتل بعض أتباع الإمام الباقر (ع) إلّا أنّ الإمام (ع) استطاع أن ينقذهم من القتل حيث استفادوا من أسلوب التقيّة الذي أرشدهم إليه الإمام (ع) (٧٧) ٠

رابعاً : الانحراف الاجتماعي والأخلاقي:

حوّل الأمويّون الأنظار إلى الغزوات وفتح البلاد طلباً للغنائم وإبعاداً للمعارضين وأدّى التوسّع في غزو البلاد المجاورة إلى خلق أنواع من الاضطراب في المجتمع الإسلاميّ مثل تشتيت الأسر بغياب المعيل أو فقدانه، وكثر العبيد المأسورون (الجواري والغلمان) ممّا أدّى إلى التشجيع على اقتناء الجواري والمغنيات. وانتقل هذا الانحراف من البلاط إلى الأمة. وانشغل الحكّام باللهو وانشاقوا وراء الشهوات دون حدود ومن هنا تطوّرت ظاهرة الغزل والتشبيب بالنساء في العهد الأمويّ كما يفصح عن ذلك تاريخ الأدب العربيّ

خامساً : الانهيار الاقتصادي:

خالف الأمويّون الأسس الثابتة للنظام الاقتصاديّ الإسلاميّ التي تنصّ على أنّ الأموال هي أمانة الله عند الحاكم، وليست ملكاً شخصيّاً له، فتصرّف حكّامهم بالأموال وكأنّها ملكٌ شخصيّ لهم، فكانوا ينفقونها حسب رغباتهم وأهوائهم، وبالأخصّ على ملذّاتهم. وكان للجواري والمغنين نصيب كبير في بيت المال، كما كانوا ينفقون الأموال لشراء الذمم والضمان ويمنحونها لمن يشترك في تثبيت سلطانهم أو مدحهم والثناء عليهم، فقد مدح الشيبانيّ يزيد بن عبد الملك فأمر له بمائة ناقة، وكساه وأجزل صلتته (٧٨)٠

وكان الحكّام يعيشون في أعلى مراتب الترف والبذخ، ويبدّرون أموال المسلمين على شهواتهم، وعلى المقربين لهم، في وقت كان يعيش فيه كثير من الناس حياة الفقر والجوع والحرمان.

وضاعف هؤلاء الحكّام الضرائب، فأضافوا ضرائب جديدة على الصناعات والحرف، خصوصاً في عهد هشام بن عبد الملك الذي كان يُنفق ما تجمع لديه منها على الشعراء المادحين له

وانشاق الناس وراء شهواتهم ورغباتهم خصوصاً أتباع الأمويّين. وهكذا أخذ الناس يسعون للحصول على المال بأيّ وجه ما دام الحكّام لا همّ لهم إلّا كسب الأموال والترف في هذه الحياة الدنيا، ولزم من ذلك غياب كثير من مشاعر الرحمة والتعاطف والإيثار فيما إذا قيس وضع الأمة إلى عصر الرسول (ص).

تراث الامام الصادق (ع):

خير ما نختتم به بحثنا المتواضع هو التحدث عن تراث سيدنا وإمامنا الصادق (ع) وذلك عن طريق درج خصائص جامعته التربوية والعلمية وكما يلي:

١ . من مميزات مدرسة الإمام الصادق (ع) واختلافها عن باقي المدارس أنها لم تنغلق في المعرفة على خصوص العناصر المادية فحسب ، وإنما انفتحت لتضمّ طلاب العلم من مختلف الاتجاهات ، فهذا أبو حنيفة الذي كان يخالف منهج الإمام (ع) حيث سلك في القياس مسلكاً استوجب شدة الإنكار عليه وعلى أصحابه ، وهو الذي أطلق على مؤمن الطاق اسم شيطان الطاق ، كان ممّن يختلف إلى الإمام الصادق (ع) ويسأله عن كثير من المسائل وقد روى عن الإمام الصادق (ع) وحّدث عنه واتّصل به في المدينة مدّة من الزمن، وناصر زيد بن علي وساهم في الدعوة إلى الخروج معه، وكان يقول: ضاهى خروج زيد خروج رسول الله (ص) يوم بدر .

٢ . انفتحت مدرسة الإمام (ع) على مختلف فروع المعرفة الإسلامية والإنسانية، فاهتمّت بالقرآن والسنة والفقه والتاريخ والأصول والعقيدة والكلام والفلسفة الإسلامية، كما اهتمّت بعلوم أخرى مثل: علم الفلك، والطب، والحيوان، والنبات، والكيمياء، والفيزياء (٩٤).

٣ . لم تتخذ مدرسة الإمام طابع الانتماء إلى الدولة الأموية أو العباسية، ولم تتلوّث بسياسة الحاكمين ولم تكن أداة لخدمة الحكّام، بل رأت الأمة أنّ هذه المدرسة هي التي تحقّق لها تطلّعاتها؛ إذ كانت ترى على رأسها وريث النبوة وعملاق الفكر المحمّدي الإمام أبا عبد الله الصادق (ع) المعروف بمواقفه واستقامته حتى لقّب بالصادق لسموّ أخلاقه وعدم مساومته وخضوعه لسياسة الحكّام المنحرفين .

من هنا شكّلت مدرسته حصناً سياسياً وفكرياً يلوذ به طلاب الحقيقة ومّن كان يشعر بالمسؤولية ويريد التخلّص من التيه الذي خلّفته التيارات الفكرية والسياسية المتضاربة في أهدافها ومساراتها .

- ٤ . وتميّزت أيضاً جامعة الإمام الصادق (ع) بمنهجها السليم وعمقها الفكري، ولم تكن أطروحتها في الإعداد العلمي مبتتية على حشو الذهن، وإنما كانت تعتمد الفكر والتعمق والأصالة ونمو الكفاءات العلمية، وتعتبرها أسساً مهمة في المنهج العلمي والتربوي (٩٥).
- ٥ . أنتجت هذه الجامعة رموزاً للعلم والتقوى والاستقامة، وعرفت بالعطاء العلمي والديني للأمة وبما أبدعته في تخصصاتها العلمية، وما حققته من إنجازات على صعيد الدعوة والإصلاح بين الناس، وأصبح الانتساب إلى مدرسة الإمام (ع) مفخرة للمنتسب، كما ناهز عدد طلابها الأربعة آلاف طالب .
- ٦ . واتسعت هذه المدرسة . فيما بعد . وشكّلت عدّة فروع لها في الكوفة، والبصرة، وقم، ومصر .
- ٧ . إنّ الإمام (ع) لم يجعل من جامعته العلمية والجهد المبذول فيها نشاطاً منفصلاً عن حركته التغييرية وانشطته الأخرى، بل كانت جزءاً من برنامجه الإصلاحي؛ لأنها كانت تساهم بحق في خلق المناخ المناسب لبناء الفرد الصالح، وكانت امتداداً واعياً ومؤثراً في المسيرة العامة للأمة، فضلاً عن النتائج السياسية الايجابية الخاصة، حيث نجد الكادر العلمي الحاضر في مدرسة الإمام (ع) هو نفسه الذي يحضر في نشاطات الإمام الخاصة.
- ٨ . تميّزت مدرسة الإمام الصادق (ع) بالارتباط المباشر بمصادر التشريع والمعرفة وهما الكتاب الكريم والسنة النبوية الشريفة بنحو لا مثيل له.
- ومن هنا حرص الإمام الصادق (ع) على أن يحقّق من خلال مدرسته إنجازاً بخصوص تدوين الحديث والحفاظ على مضمونه، بعد أن كان الحديث قد تعرّض في وقت سابق للضياع والتحريف والتوظيف السياسي المنحرف، بسبب المنع من تدوينه .
- بينما كان الهدف البعيد من منع تدوين الحديث هو تغييب الحديث النبوي الذي كان يؤكّد ربط الأمة بأهل البيت (ع) فاستهدف الحكّام صرف الناس عن أهل البيت (ع)؛ لأنّ الحديث حين كان يؤكّد الارتباط بهم كان يحول بينهم وبين الانسياق وراء كلّ ناعق سياسي أو حاكم جائر .

يقول الإمام الصادق (ع): (... أما والله إنَّ عندنا ما لا نحتاج إلى أحد والناس يحتاجون إلينا. إنَّ عندنا الكتاب بإملاء رسول الله (ص)، وخطّه علي بيده صحيفة طولها سبعون ذراعاً فيها كل حلال وحرام). وجاء عنه (ع) أنّه قال: (علمنا غابر ومزبور ونكت في القلوب ونقر في الأسماع، وإنَّ عندنا الجفر الأحمر، والجفر الأبيض، ومصحف فاطمة (ع) وإنَّ عندنا الجامعة فيها جميع ما يحتاج الناس إليه) (٩٦) .

٩ . وتميّزت أيضاً مدرسة الإمام (ع) بالاهتمام بالتدوين بشكل عام، بل ومدارسه العلم لإنمائه وإثرائه . فكان (ع) يأمر طلابه بالكتابة ويؤكد لهم ضرورة التدوين والكتابة كما تجد ذلك في قوله (ع): (احتفظوا بكتبكم فإنكم سوف تحتاجون إليها) (٩٧) .

الخاتمة:

أولاً: النتائج :

١. يبقى الفكر الإسلامي الذي تحمله مدرسة أهل البيت (ع) يحمل الصفاء والأصالة وقد وجدت الباحثة أن الصحيفة السجادية تحمل الأمانة للرسالة النبوية وتصونها والرجوع إليها يُعدُّ رجوعاً إلى ينباع الأصيلة والنقية .

٢. لقد كان الإمام يبحث في المضامين الراقية سواء في المجال الفكري ، أم التربوي، أم ألسياسي ، أم الاجتماعي ، أم الأخلاقي ، ويستكشف المفاهيم والنظريات ، والآراء الشديدة ، مما أغني ولا شك مسيرة الفكر الإسلامي .

٣. تميز الإمام الصادق (ع) بتربية روحية من خلال حياته المباركة ونستفيد من الدروس الروحية التي تضيء لنا السبيل والطريق فتكون بمثابة الضوء في الحياة اليومية .

٤. نظر الإمام (ع) إلى تربية الإنسان على إنها أمر أساسي و تذكر الإنسان بكونه شخصية ضعيفة أمام الشيطان والشهوات فلا بد له من أن يسعى إلى تحصين نفسه أمام هذين العنصرين اللذان يدعوانه إلى الخطأ

- وهو بهذا كأنه يريد أن يشير إليه بأنك ترتكب الخطأ فينبغي عليك أن تعتمد إلى تحصين نفسك مقابلته بحيث تؤمن من الوقوع فيه مرة ثانية لأن من الواضح أن من عرف الداء سعى لتحصيل الدواء •
٥. ثمة ارتباط منظم فكري ومالي بين الأئمة (ع) وأتباعهم، وكانت الأموال تحمل من أطراف العالم إلى المدينة، وكذلك الأسئلة الدينية تتقاطر عليها •
٦. اتساع الرقعة الموالية لآل البيت (ع) خاصة البقاع الحساسة من العالم الإسلامي •
٧. تجمع عدد غير من المحدّثين والرواة الخراسانيين والسيستانيّين والكوفيّين والبصريّين واليمانيّين والمصريّين حول الإمام.
٨. التزام أصحاب الأئمة بالمبدأ الحركي الحكيم المسمّى بالتقيّة الذي يحول دون نفوذ أيّ عنصر أجنبيّ في تنظيم الإمام، كما يكمن أيضاً في عدم استطاعة الحركة الجهاديّة الشيعيّة من تحقيق أهدافها ومن استلام زمام الحكم •
٩. انتشرت في هذه المدة عقائد خاطئة واتجاهات منحرفة من اللاحاد والزندقة ذات أصحاب تدافع عنها ولم تكن وليد هذا الظرف بالذات وإنما نشطت في هذا الجو حيث كان بعض الخلفاء يتبنى بعضاً منها ويسمح لانتشار البعض الآخر.
١٠. ظهور الكثير من الفرق والتيارات المنحرفة مما جعل الادعاء وهواة الرذيلة والذين زاد نشاطهم وشاع صيتهم وتعددت فرقهم في هذه المدة يطرحون أنفسهم قادة للأمة في الفكر والفقه والحديث بتشجيع من المنصور ومن تلك الفرق القدرية، والزيدية، والمعتزلة، والخوارج.
١١. كانت سياسية العباسيون عامة والمنصور خاصة هي سياسة اتخاذ (وعاظ السلاطين) بعد ان غُيب الامام الكاظم (ع) عن المسرح السياسي والفكري وهي سياسية بديل يراعاه الخليفة ويدعمه بما اوتي من قوة ليغطي له الفراغ من جانب وتؤيد له سياسته للعباد من جانب آخر ليوحي للأمة بأنه مع الخط الاسلامي السائر على نهج النبوة •

١٢. شددت السلطة المراقبة على الشيعة بعد استشهاد الإمام الصادق (ع) وعم الارتباك أوساطهم وشحنت الاجواء بالحذر والتحسب وكثرة انتشار الجواسيس •

التوصيات:

من خلال ما بحثنا عن الفكر التربوي لامام الامة وقائدها مؤسس المذهب الجعفري الامام الصادق ع ندرج اهم التوصيات التالية :

١. السير باتجاه وخطى الامام الصادق (ع) وكما رسمه الينا من خلال جامعته العلمية العملاقة •
٢. وضع منهج دراسي في جميع المراحل الدراسية عن السيرة العطرة لأهل بيت الرحمة (ع) •
٣. نشر فكر اهل البيت وبصورة مستمرة من خلال اللقاء المحاضرات والخطب سواء في الجوامع والحسينيات او عن طريق المرئي والمسموع •
٤. تدريب وتوجيه عدد كثير من المحدثين عن فضائل وعلوم اهل البيت (ع) في شتى قاع العالم.
٥. الرجوع الى احكامهم واستلالهم في جميع قضايا المجتمع وخصوصا الفقهية منها وجعله قانونا ثابتا لاسيما في المحاكم الشرعية العراقية.

الهوامش:

- ١- ابن الصباغ المالكي، الفصول المهمة، ص ١٩٢
- ٢- الشيخ المفيد ، الإرشاد ، ٢/ص ١٨٠
- ٣- ابن شهر آشوب ، مناقب آل أبي طالب، ٤/ص ٢٨١
- ٤- محمد بن يعقوب الكليني ، الكافي، ١/ ص ٣٠٧
- ٥- محمد بن يعقوب الكليني ، الكافي، ١/ ٣٠٦
- ٦- مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب، ٢ / ص ١٠٤
- ٧- محمد بن جرير، تاريخ الامم والملوك ، ٣ / ص ١٧
- ٨- الشيخ المفيد ، الإرشاد ، ٢/ص ١٧٢

- ٩- محمد بن يعقوب الكليني ، الكافي، ١ /ص ٢٢٩
- ١٠- الشيخ المفيد ، الإرشاد ، ٢/ص ١٧٩
- ١١- الشيخ الصدوق محمد بن بابويه ،الخصال، ص ١١
- ١٢- محمد بن يعقوب الكليني ، الكافي، ٢/ص ٦٥٧
- ١٣- الشيخ الصدوق ، الخصال، ص ٤٩
- ١٤- محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ٤٦/ص ٢١٤. ٢١٧
- ١٥- محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ٤٦/ص ٢٢٩
- ١٦- محمد بن جرير، تاريخ الامم والملوك ، ٤/ص ١٣٨
- ١٧- محمد بن جرير، تاريخ الامم والملوك ، ٨/ص ١٣٩
- ١٨- علي بن الحسين المسعودي ، مروج الذهب ، ٣/ص ١٩٤
- ١٩- محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ٤٦/ص ٢٨٢
- ٢٠- احمد بن علي النجاشي ، الرجال ، ص ١٢٢.
- ٢١- الشيخ المفيد ، الإرشاد ، ١ /ص ٤٠
- ٢٢- محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ٤٧ /ص ١٥
- ٢٣- محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ٤٦/ص ٧٢
- ٢٤- محمد بن جرير، تاريخ الامم والملوك ، ٨/ص ٢٧٧
- ٢٥- محمد بن جرير، تاريخ الامم والملوك ، ٥ /ص ١٢٧
- ٢٦- محمد بن الحسن الحر العاملي ، اثبات الهداة، ٥ / ص ١٧٢ - ١٧٣
- ٢٧- محمد بن الحسن الحر العاملي ، اثبات الهداة، ٥ / ص ١٧٥ - ١٧٦
- ٢٨- محمد بن احمد الذهبي ، ميزان الاعتدال، ١ /ص ٣٩٩
- ٢٩- احمد بن علي (الخطيب البغدادي)، تاريخ بغداد، ٤ /ص ١٤٨ . ١٥٠
- ٣٠- سورة الزمر ، الآية ٩
- ٣١- محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ٤٧ / ص ٣٦٨
- ٣٢- يتبع حصن له عيون ونخيل وزروع بطريق حاج مصر

- ٣٣- الجدي ، من أولاد المعز
- ٣٤- محمد بن يعقوب الكليني ، الكافي، ٢/ ص ٢٤٢
- ٣٥- محمد بن الحسن الحر العاملي ، وسائل الشيعة ، ١٨/ ص ٤
- ٣٦- محمد بن الحسن الحر العاملي ، وسائل الشيعة ، ١٨/ ص ٢
- ٣٧- سورة النساء ، ، الآية ٦٠
- ٣٨- محمد بن الحسن الحر العاملي ، وسائل الشيعة ، ٢٧/ ص ١٣
- ٣٩- محمد بن الحسن الحر العاملي ، وسائل الشيعة ، ١٧/ ص ١٧٩
- ٤٠- سورة البقرة ، الآية ١٢٤
- ٤١- سورة البقرة ، الآية ١٣٨
- ٤٢- احمد بن علي الطبرسي ، الاحتجاج ، ٢/ ص ١١٨ . ١٢٢
- ٤٣- محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ٣/ ص ٥٠
- ٤٤- احمد بن علي الطبرسي ، الاحتجاج ، ٢/ ص ٧١ . ٧٢
- ٤٥- احمد بن علي الطبرسي ، الاحتجاج ، ٢/ ص ٧٧
- ٤٦- احمد بن علي الطبرسي ، الاحتجاج ، ٢/ ص ٧٧ . ٧٨
- ٤٧- محمد بن يعقوب الكليني ، الكافي، ١/ ص ٢٦٩
- ٤٨- احمد بن علي النجاشي ، الرجال ، ص ٢٦٩
- ٤٩- احمد بن علي النجاشي ، الرجال ، ص ٢٩٠
- ٥٠- والإمام (ع) هنا في مقام نفي العلم بالغيب الاستقلالي الذي يدّعيه الغلاة ، لا العلم بالغيب الممنوح للنبي (ص) ولهم منه سبحانه .
- ٥١- احمد بن علي النجاشي ، الرجال ، ص ٢٩٢
- ٥٢- محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ١٠٤/ ص ٤٠٥
- ٥٣- محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ٤٧/ ص ٢٢٦
- ٥٤- سورة البقرة ، الآية ٢٠٤ . ٢٠٥ .
- ٥٥- ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ٤/ ص ٧٣

- ٥٦- محمد بن يعقوب الكليني ، الكافي، ١/ ص ٢١٣
- ٥٧- محمد بن يعقوب الكليني ، الكافي، ١/ ص ٢١٧
- ٥٨- سورة آل عمران ، الآية ٧
- ٥٩- محمد بن يعقوب الكليني ، الكافي، ١/ ص ٢١٣
- ٦٠- محمد بن يعقوب الكليني ، الكافي، ٢/ ص ٦٢
- ٦١- محمد بن يعقوب الكليني ، الكافي، ٢/ ص ٦٣
- ٦٢- السيد محسن الامين العاملي ، في رحاب أئمة اهل البيت ، ١/ ص ٦٤
- ٦٣- السيد محسن الامين العاملي ، في رحاب أئمة اهل البيت ، ١/ ص ٦٦. ٦٧
- ٦٤- محمد بن يعقوب الكليني ، الكافي، ٢/ ص ٦٨
- ٦٥- محمد بن الحسن الحر العاملي ، وسائل الشيعة ، ٧/ ص ٤٠٧
- ٦٦- الحسن بن علي الحراني ، تحف العقول ، ص ٣٦
- ٦٧- محمد بن الحسن الحر العاملي ، وسائل الشيعة ، ٨/ ص ٤٠٠
- ٦٨- محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ٧٤/ ص ٣٩١
- ٦٩- السخيمة ، الحقد والضغينة حتى تسل سخيمته والسل الانتزاع والإخراج في رفق
- ٧٠- محمد بن الحسن الحر العاملي ، وسائل الشيعة ، ٨/ ص ٥٤٩
- ٧١- محمد بن الحسن الحر العاملي ، وسائل الشيعة ، ٨/ ص ٥٤٢
- ٧٢- محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ٧٨/ ص ٢٨٦
- ٧٣- محمد بن يعقوب الكليني ، الكافي، ١/ ص ٤٩
- ٧٤- محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ٧٨/ ص ٢٥٩
- ٧٥- الشيخ المفيد ، الإرشاد ، ٢/ ص ٢٧٠
- ٧٦- جلال الدين السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص ٢١٩
- ٧٧- محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ٧٨/ ص ٢٦١
- ٧٨- محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ٢/ ص ١٦٥
- ٧٩- ابن شهر اشوب ، مناقب آل أبي طالب، ٤/ ص ١٤٢

- ٨٠- ابن شهر اشوب ، مناقب آل أبي طالب، ٤/ص ٢٩٩
- ٨١- محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ٧٨/ص ٢٦٩
- ٨٢- محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ٧٨/ص ٢٨٠
- ٨٣- ابن شهر اشوب ، مناقب آل أبي طالب، ٤/ص ١٤٢
- ٨٤- محمد بن جرير، تاريخ الامم والملوك ، ٢/ص ٣٤٠ . ٣٤٤
- ٨٥- محمد بن جرير، تاريخ الامم والملوك ، ٢/ص ٣٤٣
- ٨٦- محمد بن جرير، تاريخ الامم والملوك ، ٩ /ص ٨٢
- ٨٧- محمد بن جرير، تاريخ الامم والملوك ، ٩ /ص ٨٥
- ٨٨- محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ٤٧ /ص ١٧٢
- ٨٩- ابن شهر اشوب ، مناقب آل أبي طالب، ٤/ص ٢٧٧
- ٩٠- محمد بن الحسن الحر العاملي ، اثبات الهداة ، ٥ /ص ٣٥١
- ٩١- محمد بن الحسن الحر العاملي ، اثبات الهداة ، ٥ /ص ٤٦٥
- ٩٢- المخصصة ، شيء كالسوط ما يتوكل عليه كالعصا
- ٩٣- ابن شهر اشوب ، مناقب آل أبي طالب، ٤/ص ٢٥٩
- ٩٤- ابن شهر اشوب ، مناقب آل أبي طالب، ٤/ص ٢٨١
- ٩٥- ابن شهر اشوب ، مناقب آل أبي طالب، ٤/ص ٢٥١
- ٩٦- ابن شهر اشوب ، مناقب آل أبي طالب، ٤/ص ٢٨٨
- ٩٧- ابن شهر اشوب ، مناقب آل أبي طالب، ٤/ص ٣٤٥ .

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

١. اثبات الهداة: الحر العاملي: محمد بن الحسن (م ١١٠٤ هجري) المطبعة العلمية، قم المقدسة.
٢. الاحتجاج: أبو منصور: أحمد بن علي الطبرسي (من أعلام القرن السادس الهجري) مؤسسة الأعلمي، بيروت _ ١٤٠٣ هجري.
٣. الارشاد: المفيد: محمد بن محمد بن النعمان (م ٤١٣ هجري) قم المقدسة _ ١٤٠٢ هجري.

٤. بحار الأنوار: العلامة محمد باقر المجلسي (م ١١١٠ هجري) مؤسسة الوفاء، بيروت _ ١٤٠٣ هجري.
٥. تاريخ بغداد: الخطيب البغدادي: أحمد بن علي (م ٤٦٣ هجري) المكتبة السلفية، المدينة المنورة.
٦. تاريخ الخلفاء: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (٨٤٩ _ ٩١١ هجري) مطبعة المدني، القاهرة _ ١٣٨٣ هجري.
٧. تاريخ الطبري المسمى (تاريخ الأمم والملوك): محمد بن جرير (م ٣١٠ هجري) مؤسسة الأعلمي، بيروت.
٨. تحف العقول: الحرّاني: الحسن بن علي (من أعلام القرن الرابع الهجري) مؤسسة الأعلمي، بيروت _ ١٣٩٤ هجري.
٩. الخصال: الشيخ الصدوق: محمد بن بابويه (م ٣٨١ هجري) منشورات دار النشر الإسلامي، قم _ ١٤٠٣ هجري.
١٠. الرجال: النجاشي: أحمد بن علي (٣٧٢ _ ٤٥٠ هجري) بيروت _ ١٤٠٩ هجري.
١١. شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد (م ٦٥٥ هجري) دار احياء الكتب العربية، القاهرة _ ١٣٧٨ هجري.
١٢. الفصول المهمة: ابن الصباغ المالكي (م ٨٥٥ هجري) المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف _ ١٣٨١ هجري.
١٣. في رحاب أئمة أهل البيت: السيد محسن الأمين العاملي (م ١٣٧١ هجري) دار التعارف، بيروت _ ١٤٠٠ هجري.
١٤. الكافي: محمد بن يعقوب الكليني (م ٣٢٩ هجري) دار الكتب الإسلامية، طهران _ ١٣٩٧ هجري.
١٥. مروج الذهب: علي بن الحسين المسعودي (م ٣٤٥ هجري) منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت _ ١٩٦٥ م.
١٦. مناقب آل أبي طالب: ابن شهر آشوب: محمد بن علي السروي المازندراني (٤٨٨ _ ٥٨٨ هجري) المطبعة العلمية، قم المقدسة.